من داخل السجن ٢١

رجال صدقوا ٧

فارس التحرير

الشهيد علي العرب

أحمد العرب

بسم الله الرحمن الرحيم

صوت البحرين
VOICE OF BAHRAIN
WWW.VOB.ORG

اسم الكتاب: فارس التحرير - الشهيد علي العرب
المؤلف: أحمد العرب
التصحيح والتدقيق: الشيخ حسين اليوسف
الطبعة: الأولى، ٢٠٢٣م
نشر: دار الوفاء للثقافة والإعلام
البريد الإلكتروني: mediaalwafa@gmail.com

دار الوفاء للثقافة والإعلام

الموقع الرسمي

٠٠٩٨٩١٦٤٤٧٥٥٦٩

daralwaffa

-- الـفـهـــرس --

مقدمة الناشر ٨
مقدمة ١٠
من ذلك المعين ١١
و ائتمروا لقتله ١٢
وتد راسخ ١٣
توالى من دمك الدم ١٤
أمير ١٤
حاملاً سراجه ١٦
ضالتي حيث السراج ١٧
قفزة للأمام ١٨
الرساليون في الميدان ١٩
يمم شطره ٢٠
دوّار بجهاده ٢٠
توشح الطاغية ٢٢
عاد للديار ٢٢
العقل المدبر ٢٣
بصمات الاغتيال ٢٥
ثوى بجانب الجد ٢٦
اعرفوا رجالكم ٢٧
بين الأصلاب الأبية ٢٨
قساوة الاغتراب ٢٩
على رمال صفوى ٣٠
رسم ترابه ٣٠
لقد رسمت قدماه ٣٠
سيجيبه الميدان ٣١
اختر موتك ٣٢
يا لثاره ٣٣
المهجر مرة أخرى ٣٣
والتجارب صقالة ٣٤
طوفان الثورة ٣٥
لم ينغمر بل تقدم ٣٦
ما يحكيه القدر ٣٨
لملمة الشتات ٣٩
عالم الشيعة وسيّدهم ٤١
أمنيتي ٤٣
ملامح العملية ٤٤
على أتم الجهوزية ٤٥
ساحة الفداء ٤٥
مدد الزهراء عليها السلام ٤٧
بقي خمسة أيام ٤٩
سأوصي ٤٩
سويعات قليلة ٥٣
يا لها من ليلة ٥٤
فجر التحرير ٥٥
بدء الحقيقة ٥٦
وسل سيف الثأر ٥٨
تحرير داخل تحرير ٦١
أحجبة بين شهيدين ٦١

-- الـفـهـــرس --

تخبط مرتبك ٦٢
كان عبقريها محمود ٦٣
قدماً .. قدماً ٦٤
لا خيارين ٦٥
ليتم ميقاته ٦٧
لديه المزيد ٦٨
فأبدع بشهادته ٦٩
أول الخيوط ٧٠
حصارٌ .. وقرار ٧١
فرحة آل أمية ٧٢
إلى وكر التعذيب ٧٣
تحت سلطة الانتقام ٧٣
تنهشه أنياب الجلادين ٧٤
البشارة.. البشارة ٧٥
حفاوة الاستقبال ٧٦
سجنه معراجه ٧٨
ملامح العنبر ٧٩
قفزة لابد منها ٨٠
والله بقتلك ٨١
نَفَسُه رساليّ ٨٢
النطق بالحكم ٨٣
خَطّ وصاياه ٨٣
ليلتك سودة!! ٨٥
مقبرة النور ٨٨
ليس الذي يعرفونه ٩٠
بل جنة ٩١
تغبطهم الملائكة ٩١
إعدام اللقاء ٩٣
اسمه على السلاح ٩٤
يعني..رضى الله ٩٥
في الـ٦ من مايو ٩٦
وانجلى الغبار ٩٨
تأوّه ٩٨
هاليومين بتعرفون!! ٩٩
تعابير مبهمة ١٠٠
هناك زيارة ١٠١
تراتيل أخيرة ١٠٢
صدى سلاسل ١٠٣
ساعة سماوية ١٠٥
العتبة الأخيرة ١١٠
خلاص ١١٢
فوهة الخلود ١١٢
قمة المعراج ١١٣
المفارقة الأخيرة ١١٤
وصية الشهيد للخالدة ١١٥

بسم الله الرحمن الرحيم

فارس التحرير

الشهيد الإلهي علي العرب

أ إلي من نصيب؟!

أنـوء بنفسـي إلـى حيثـما هـم ذهبـوا.. لكنـي لا أتمكـن مـن الولـوج.. لـم تـزل الدنيـا عالقـة فـي زوايـا قلبـي.. يرجعونـي إلـى حيـث كنـت.. مـع همـس ترتعـش معـه أوصالـي.. ويُرجـف فرائصـي..

(نظّف ما اتسخ من قلبك نحن نأخذك).

أحاول أن أسمو إلى الأعالي لكن ترابيتي تجذبني للتراب..

يقولون لي:

إن لـم تُكسّـر صخـور سـجنك.. فكيـف يمكنـك الطيـران مثلهـم؟! أو اسـعَ أن يحبـك الله، فإنّـه سيشـتريك غالياً.. وإلا فـلا شـيء سـيكون مـن نصيبـك..

يا أيها الشهداء ..

خذوا بيدي ..

مقدمة الناشر

بسم الله الرحمن الرحيم

علي العرب شاب في الخامسة والعشرين من ربيع العمر، ولد في آخر يوم من عام ١٩٩٣م في أرض المنفى في الإمارات، أمضى ثلاث سنين وشهور ستة لتنتقل الأسرة إلى أرض الحجاز .. إلى البقعة التي ولدت فيها أمه .. مدينة صفوى جوار العوامية في المنطقة الشرقية ..

مدينة صفوى برمالها الذهبية تشبه كثيراً «أوال» حيث جذور الأسرة الضاربة في أرض البحرين العريقة ..

في مطلع القرن الميلادي الجديد «٢٠٠١» عادت الأسرة إلى أرض الأم؛ وبعد زهاء عشر سنين بزغت شمس الثورة .. ثورة الكرامة «ثورة فبراير ٢٠١١» .. ثورة مضمخة برمال كربلاء .. في يوم عاشوراء ..

«علي العرب» يضع قدميه في الطريق الذي سيفضي به إلى الأعالي .. إلى هناك .. إلى أرض الوطن ..

وشاءت الأقدار أن يلتقي علي بأسطورة البحرين الخالدة .. الشهيد

الباسل «رضا الغسرة» .. كان ذلك في عام ٢٠١٣م ..

«علي العرب» تمتد جذوره في هذه الأرض العريقة من شبه الجزيرة العربية .. لكن جذوره الحقيقية تمتد في أعماق كربلاء .. المضمخة بدماء سيد الشهداء ..

إن هذا الكتاب الذي بين يديك عزيز القارئ يتحدث عن ذلك الشاب الذي كان يحلم بالشهادة .. نهاية دامية هي في الحقيقة جواز سفر إلى عالم الخلود والأبدية .. بقلم الأسير البطل أحمد العرب الذي خطّ الكتاب بيمينه البارع في وصفه للشهيد ..

وما يميز هذا الكتاب أنه يتحدث عن قرب وصدق وحرارة ووفاء .. والحقيقة فإن علي العرب سيبقى في طليعة الشهداء الذين يمثلون نقاء الثورة في البحرين وعدالة قضيتها.

دار الوفاء للثقافة والإعلام

مقدمة

كان صباحاً استثنائياً ذاك الذي استيقظ فيه الشعب على نبأ عظيم (استشهاد المجاهد أحمد الملالي والمجاهد علي العرب إعداماً بالرصاص!!).. كانت صدمة حقيقية، فقد جاء هذا الخبر على فترة من الأحداث لم تكن لهذا الفعل أيُّ مقدمات، وكأنما يد الغيب تحكمت بالمقاديـر ملبية اشتياق الملكوت لروحيهما الطاهرتين.. تعاليا آن حينكما.. وهل تليق بكما سوى ساحة العشق؟!

غادرا مخلفَين وراءهما أذهاناً تسمّرت في شخصيهما.. في جهادهما الذي اختزل عطاء سنين الثورة.. ورسم ملامحها.

امتزجت الصورة في تلك الأذهان، وعادت إلى الماضي القريب حيث الشهيد القائد (رضا الغسرة).. فها هي صورته تأخذ حيزاً بين الملالي والعرب، وتمثلت معها الأحداث التي حدّدت قوة الثورة.

راحت التواريخ تعود بشكل سريع وهي تستعرض المنعطفات التي مرّت بها البحرين.. ٢٠١٩/٧/٢٧ م.. ٢٠١٧/٢/٩ م.. ٢٠١٧/١/٢٨ م.. ٢٠١٧/١/١٥ م.. ٢٠٠٧ م.. ١٩٩٤ م.. ١٩٨٠ م.. حتى وصلت إلى الجذر الأصيل ١٩٢٤ م.. إلى الحقبة

التي تحكي مدى العمق الجهادي لشعب أوال.. إلى الشهيد الفقيه الشيخ عبد الله العرب ..

من ذلك المعين

إنّ لكون الشهيد علي العرب حفيداً للشهيد الفقيه عبد الله العرب أمرا ذا شأن بليغ في وصوله إلى تلك الرفعة السامية.. فصفات النبل والعظمة متى ما كانت متوارثة تكون أكثر رسوخاً.. وأمتن أصالة في شخص المرء..

اجتاح الظلم أرض أوال الطاهرة مع قدوم عصابة آل خليفة الغاصبة، تلك العصابة التي كانت تمارس الظلم والتنكيل على يد مرتزقتها (الفداوية)، فلم يهنأ العيش للناس وسُلب منهم الأمن والأمان، فصاروا يبيتون على النهب والسرقة، ويصبحون على أخبار ضحايا تلك الهجمات البربرية الهمجية.. لم يكن بيد الناس من حيلة للخلاص من براثن الظلم الجاثم على صدورهم، فالبلد كانت بحوزة الإنجليز، وكل الجرائم كانت على مرأى ومسمع منهم. كانوا مؤيدين لها ولما يقوم به أولئك الغاصبون، كي يأمنوا أي تحرك شيعي ضدهم.. ولكن الله يأبى إلا أن تجري الأمور كما يحب، وإنّ في قبال يزيد كل عصر لا بد من (حسين)، فانبرى حسين الزمان؛ الفقيه الشيخ عبد الله العرب ليرفع راية الحق في وجه الباطل.. ويشرع المقاومة.. فارضاً على الواقع معادلة النصر الكربلائي.. فراح يجوب القرى ليثبّت أركان المقاومة، فشكل في كل قرية لجنة تسيّر أمور قاطنيها بقوانين خاصة في منأى عن قوانين السلطات الخليفية، والأهم من ذلك هو جناح المقاومة في هذه اللجان، الذي يقوده الشباب للذود والدفاع عن عرض القرى..

بـل إنّ الفقيـه لـم يكتـفِ بذلـك، ورمـى بصـره إلـى ما وراء ذلـك، فبعـد تثبيتـه أركان المقاومـة فـي غالبيـة القـرى، قام بجمـع آلاف العرائـض الشـعبية المناهضـة لسياسـة الحكـم الخليفـي، والتـي ترفـض تمكيـن العصابـة الخليفيـة مـن رقاب النـاس، وقام بإرسـال تلـك العرائـض إلـى الإنجليـز التـي كانـت البحريـن تحـت وصايتهـم، فكانـت العرائـض رسـائل تحذيـر مـن انفجـار وهيجـان قادميـن.. فتـدارك البريطانيـون الأمـر فقامـوا بإبعـاد الدواسـر (الفداويـة) عـن البلـد وإرجاعهـم إلـى باديـة شـبه الجزيـرة مـن حيـث أتـوا فـي حركـة إرضـاء للنـاس..

حينهـا فقـط أدرك الإنجليـز وعبيدهـم الخليفيـون حجـم الخطـر المحـدق بهـم، ففطنـوا لذلـك الأمـر، وأيقنـوا أن لا خـلاص ولا نجـاة لهـم مـن إعصـار المقاومـة إلا بحـز رأسـها..

لقـد كانـوا فـي غيهـم يعمهـون، فيقينهـم ذلـك ما هـو إلا وهـم عاشـوه فـي غفلـة عـن حقيقـة تحاكـي ضـوء الشـمس، فـي أنّ الشـهيد متـى ما سـقط خلّـف مـن ورائـه ركبـاً مـن الشـهداء..

و ائتمروا لقتله

أعـدت العصابـة الخليفيـة العـدة، فأقنعـوا الإنجليـز بإرجـاع الدواسـي (الفدوايـة) بعـدما رسـموا مخطـط الخـلاص بدقـة..

فأحكمـوا قبضتهـم الأمنيـة، وعادوا لـما كانـوا عليـه قبـل ترحيلهـم، فأعادوا غاراتهـم البربريـة علـى بيـوت الآمنيـن، وراحـوا يسـلبون علـى الشـواطئ قـوت العامليـن المسـاكين.. وخلـف كل ذلـك كانـوا يسـعون إلـى غايتهـم الكبـرى فـي الخـلاص مـن الشـهيد الفقيـه العـرب، فحـددوا خـط سـيره، وزرعـوا حولـه عيونـاً لصيقـة، حتـى وجـدوا فرصتهـم سـانحة فـي منطقـة تـلالٍ خاليـة تدعـى

بـ (الصليـب) تقـع بيـن قريتـي (الشـاخورة) و (مقابـة).. فكمنـت لـه مرتزقـة الخليفييـن الجبانـة حيـن عودتـه إلـى قريتـه مـع أحـد أصحابـه.. فحوصـر الشـهيد الفقيـه وصاحبـه محاصـرة شـديدة وانهالـت عليـه الدواسـر بـما فـي أيديهـا بالضـرب والطعـن، ولـم يشـف صدورهـم إلا حـزّ رأسـه مـن القفـا والتمثيـل بجثتـه وحتـى إصبعـه المتختمـة لـم تسـلم.. بـل راحـوا إلـى أبعـد مـن ذلـك بقتلهـم صاحـب الشـهيد كـي لا يكـون علـى جريمتهـم شـاهد.. وتركوهـم مضرجيـن بدمائهـم فـي مشـهد يحكـي حجـم المعانـاة التـي عانتهـا العصابـة الخليفيـة مـن جهـاد الشـهيد ضدهـا..

بقـي الشـهيد الفقيـه وصاحبـه علـى حـرّ الوهـاد أيـاماً لا يُعلم عنهما شـيء.. حتـى رأى أحـد أقارب الشـهيد الفقيـه رؤيـا تدعـوه للذهـاب إلـى تلـك المنطقـة، فذهـب لينذهـل مـن روع ذلـك المنظـر، ويرجـع جـازعاً صائحـاً فـي أهـل قريتـه: (هبـوا فقـد قتلـوا شـيخكم ومثلـوا بجثتـه).. لقـد حلـت تلـك الصيحـة اللغـز الـذي ألقـى الحيـرة فـي قلـوب أهـل القريـة عنـدما رجعـت بغلـة الشـهيد قبـل وصـول الخبـر بأيـام إلـى القريـة وهـي مضرجـة بدمائـه الطاهـرة.. لقـد مثّـل رضـوان الله عليـه شـهادة سـيده ومـولاه الحسـين عليه السلام فـي أغلـب فصـول شـهادته..

وتد راسخ

ومـا عقـب تلـك الشـهادة الحسـينية العظيمـة مـن تشـييع مهيـب شـارك فيـه القريـب والبعيـد رغـم الظـرف الأمنـي القاهـر، لهـو خيـر برهـان علـى أن الشـهيد الفقيـه قهـر عـدوه فـي موتـه، وخلـف مـن ورائـه شـعباً ذا روح حسـينية يحـدوه الإبـاء.. وقـد ألقـت تلـك الشـهادة العظيمـة فـي كيفيتهـا وزمانهـا ومكانهـا بظلالهـا علـى الأجيـال تلـو الأجيـال، وكان لأبنائـه وأحفـاده نصيـب

مـن ذاك المعيـن.. ومنهـم مـن شـرب مـن كأسـه الأوفـى.. (الشـهيد الحـاج عبـد الأميـر العـرب) و(الشـهيد الإلهـي علـي العـرب) ولا زال ضريـح الشـهيد الفقيـه العـرب شـاهداً علـى عطـاء الشـعب البحرانـي.. شـعب التشـيع والولايـة، فـي سـبيل العقيـدة الحقّـة.. لا زال صرحـاً شـامخاً تعلـوه قبـة خضـراء يراهـا القاصـي والدانـي فـي مسـقط رأسـه بلـدة بنـي جمـرة..

توالى من دمك الدم

عاشـت العصابـة الخليفيـة وهـم الانتصـار بعـد استشـهاد الشـهيد الفقيـه العـرب.. لكنـما الحـق أن شـهادة الفقيـه بعثـت الـروح والوعـي فـي صـدور النـاس، فقـد هبّـت ببركـة دمائـه الطاهـرة الثـورات تبـاعاً.. تبـاعاً.. ثـورات وانتفاضـات كانـت بمثابـة المصقلـة لشـعبٍ جُبِـلَ علـى حـب علـي عليه السلام، وتغـذى علـى إبـاء الحسـين عليه السلام، فصـار الصبـر ديدنـه والثبـات دأبـه.. ونصـر الديـن غايتـه..

أمير

إن شـخصية الشـهيد الإلهـي علـي العـرب وتركيبتهـا النـادرة علـى مسـتوى جميـع الأبعـاد، ما كانـت لتكـون لـولا المقـدمات التـي سـبقتها.. فبالإضافـة إلـى عامـل الـدم والوراثـة والبيئـة العائليـة المشـحونة، وحيـاة الهجـرة التـي عاشـها والـده ووِلـدَ فيهـا الشـهيد علـي نفسـه.. يبقـى أقـوى العوامـل والتـي أثـرت بشـكل مباشـر وصميمـي فيـما آلـت إليـه حياتـه هـو استشـهاد عمّـه الحـاج عبـد الأميـر العـرب.

عبـد الأميـر العـرب هـو ذاك الشـاب الـذي ولـج الحيـاة مجاهـداً، نتيجـة المحيـط المشـحون الـذي عاش فيـه سـواء فـي عائلتـه أو فـي قريتـه.. التـي ما

فتئت أن تكون رأس الحربة في وجه العصابات الفداوية على مرّ العقود.

كان في مقتبل شبابه يحمل في صدره شعلة حماس متأججة.. لم تجد تلك الشعلة متنفساً لها سوى الحركة الوطنية.. فلم تكن هناك حركة مطلبية سواها آنذاك، كل الحركات الإسلامية كانت منحصرة في الجانب التوعوي والثقافي.. لم يكن هناك أيّ توجه إسلامي نحو السياسة..

كانت هناك ضبابية في الرؤية عند عبد الأمير وأقرانه، فالتزامهم الديني لا يتناسب مع انتمائهم السياسي!

إلمامهم بالتاريخ يعقد المشهد في أعينهم، فلم يمر عليهم في الإسلام قط.. انفصال الدين عن السياسة.. لكنهم يرون حاضرهم عكس ذلك.. فالمآتم.. والمساجد؛ بل وحتى مجالس الحسين عليه السلام كلها جوفاء من السياسة.. والثورة..

ومع كل ذلك إنهم يرون ضرورة؛ بل وجوب مقاومة الظلم المتسلط عليهم.. إذاً ما العمل؟! والعالم الإسلامي شبه خال من أيّ حراك سياسي؟؟ لم يكن لهم بُدٌّ عن الاستمرار مع الحركة الوطنية.. فالسكوت والركون إلى الظلم يعارض مبائهم.. فاستمروا هكذا..

ولكنّ الأمل دبّ في نفوسهم دفعةً واحدة.. فهناك على مقربةٍ منهم انطلقت ثورة عارمة.. تحمل شعار الإسلام.. والهدف تحقيق حلم الأنبياء.. انطلقت الثورة في البقعة المباركة ـ قم المقدسة ـ لم يكن طموح وفكر قائد الثورة المباركة السيد الإمام روح الله الخميني منحصراً في تلك البقعة فقط؛ بل امتدّ ليشمل عدة بقاعٍ من العالم الإسلامي.. ولم تكن البحرين مستثناة من تلك الحملة.. فقد أوكل كلّ من السيد الإمام وآية الله السيد

محمد الشيرازي أمر البحرين إلى الرجل الذي سيأخذ بالأمور إلى نصابها الصحيح.. إنّه آية الله المجاهد السيد هادي المدرسي.

حاملاً سراجه

وصل السيد المدرسي إلى البحرين مع مطلع السبعينات حاملاً معه سراج الحق الذي طال انتظاره.. السراج الذي سينير درباً غطته سنين من العتمة..

نزل أرض المنامة، واتخذها مركزاً لمشروعه لمركزيتها.. وصار يتنقل بينها وبين المحرق.. فأحدثت محاضراته ومناظراته ومجموعة الكتيبات التي ألقاها تغييرا ملحوظاً في الفكر والثقافة السائدين حينها.. فانجرف العديد من مريدي الحركة الوطنية مع تيار السيد المدرسي.

والمفارقة الأهم، والتي تدل على تديّن أهل البحرين المتأصل في نفوسهم، هو انجرار عدد كبير ممن كانوا ينأون بأنفسهم عن السياسة إلى درب السيد هادي المدرسي، ويعود ذلك لسببين رئيسيين هما: بيان السيد المدرسي لحقيقة النظرة الإسلامية للسياسة، والأمر الآخر هو نزوله المستمر إلى مجالس العامة؛ لا سيما المجالس الشبابية التي كان بعضها في انزواء عن المجتمع.. حتى أفرزت تلك الجلسات واللقاءات مجاميع شبابية مؤمنة مجاهدة، صار لها الشأن الكبير والبصمات الواضحة في تغيير الطابع السياسي السائد في البحرين آنذاك، ولم يكن لتلك الثورة الفكرية والمباركة إلا تثبيت أركانها بالدم .. فعرج ركب من الشهداء على رأسهم الشهيد الفذ جميل العلي.. ليكونوا صمام أمانٍ للاستمرار.

ضالتي حيث السراج

كانت للسيد هادي المدرسي علاقة وطيدة تربطه بسماحة الشيخ عبد الأمير الجمري وآية الله الشيخ عيسى قاسم، اللذين كانا يشكلان تكاملاً مع السيد هادي المدرسي من خلال (حزب الدعوة) الذي يحمل نفس الأهداف لحركة السيد المدرسي.

كانت علاقة السيد المدرسي بالشيخ عبد الأمير الجمري قد قادته إلى بني جمرة في وقت مميز ـ ليلة عيد الله الأكبر.. عيد الغدير الأغر ـ كانت ليلة مفصلية في حياة الشهيد عبد الأمير العرب..

ألقى السيد المدرسي في تلك الليلة خطاباً ثورياً مميزاً.. كان شيئاً نادراً، إن لم يكن سابقة تلك الحقبة..

عقّب الشهيد على ذلك الخطاب الذي تعرض لوجوب مجابهة الظلم..

(أول مرة أسمع كلمة مميزة لرجل دين).. وتيمناً بتلك الليلة المباركة، انضم الشهيد عبد الأمير إلى الركب الرسالي..

كان الشهيد ذو اطلاع واسع ونشاط فاعل.. وشخصية نادرة.. بوأته مقعداً في الصفوف الأمامية للحركة منذ انضمامه.. كان قيادياً بفطرته..

كان حراك الرساليين يسير على أكمل وجه، عمل دؤوب يصل الليل بالنهار.. سباق مع الزمن يتخلله متابعة حثيثة لمجريات الثورة الإسلامية في قم.

قفزة للأمام

انتصرت الثورة بقيادة قائدها العظيم السيد روح الله (قدس) نصرا بث الأمل في نفوس المستضعفين.. أمل قدرة الإسلام على صناعة النصر والنهوض بالشعوب.

أحدث ذلك النصر المدوّي نقلة نوعية في حراك التنظيمات الإسلامية التي تجاهد أنظمتها في المنطقة ـ لقد أخذ ذلك النصر بهم سنيناً إلى الأمام.

كانت البحرين أول المتأثرين بارتدادات ذلك الفتح، فامتزج فيها الحراك الثوري بنشوة النصر، واشتدت القبضة الأمنية لا سيما أن تلك الأحداث تزامنت مع إعدام الشهيد الصدر الأمر الذي ضاعف الحراك وحوّله إلى ثورة عامة اعتُقل على إثرها الكثير من المجاهدين، وكان على رأسهم مجاهدوا التيار الرسالي، فطالت الشهيدين جميل العلي وعبد الأمير العرب. أُفِرجَ عن الشهيد عبد الأمير بعد مدة وجيزة .. لكنّ الشهيد جميل العلي كان أمره مختلفاً، ما حصل له في ظاهره اعتقال وسجن، ولكن حقيقته معراج للكمال، كان ذلك الاعتقال بُراقاً عرج به إلى حيث يجب أن يكون هو وأمثاله.

مكث الشهيد جميل تحت وطأة التعذيب يقابل أقسى أصنافه بابتسامة الموقنين ولسان الحال (عذب.. فما هي إلا ساعة أعانق بعدها الحور العين).. ما انفكوا عن تعذيبه تعذيبا يحكي المر الذي كانوا يعانون منه، لم يكن تعذيباً؛ بل تشفياً وانتقاماً.. ما سكن إلا مع تجرّد روحه من بدنها الترابي.

الرساليون في الميدان

بعد استشهاد الشهيد الفذ جميل العلي أطلق الرساليون العنان لأنفسهم.. وأعلنوا للمرة الأولى عن أنفسهم، وكشفوا النقاب عن حركتهم التي توسعت إلى حدّ كبير.. حتى وصلت أرض الحجاز.. الأرض التي أرجع مجاهدوها الزمن إلى أوال الكبرى، فصارت القضية واحدة والنصرة واحدة والهدف واحد.. أعلن الرساليون عن مسماهم (الجبهة الإسلامية لتحرير البحرين).

كانت الحركة تعد نفسها لمدة عقد كامل، كانوا جاهزين على جميع الأصعدة آخرها الجانب العسكري الذي بدأ الإعداد له مع انتصار الثورة في قم -

جميع الأحداث متراصة؛ انتصار الثورة.. استشهاد جميل.. الظهور العلني للجبهة.. أحداث لحقها في نفس العام باكورة العمل التنظيمي العسكري.. والسابقة التاريخية أول محاولة جادة لإزاحة العصابة الجائرة عن صدور الناس بالقوة.. والمقاومة المشروعة.. كان اختصاراً للجهد والزمن.. ولكن لحكمة بالغة، لم يشأ الله لذلك المشروع أن يكتمل.. ثغرة أمنية واحدة وأَدت المشروع في مهده.

لم يكن فشلاً.. فالإقدام على مثل تلك الخطوة في ظل تلك الظروف الأمنية الخارقة القاهرة يعتبر نجاحاً باهراً وكبيراً. لقد كسر السيد المدرسي الهيبة المزعومة للقوات الأمنية بتلك الخطوة التي زرعت أول بذور المقاومة المشروعة في نفوس الناس..

يمم شطره

استنفر النظام بشكل هستيري.. وأحكم قبضته الأمنية، وراح يعتقل كل من تصله صلة بالسيد المدرسي.. فطن الشهيد للأمر فأخذ قراره بسرعة، أخذ بكف أخيه الأصغر وراح مهاجراً، اتخذ القرار الصعب في الزمان الصعب، لكنه سار واثق الخطى فالهجرة سنة نبوية.. تصنع الرجال، وتحكم الآراء، وتفتح آفاق الإعداد والعمل.

ثبّت النظام التهمة على ثلاثة وسبعين مجاهداً ممن اعتقلوا، أما الشهيد عبد الأمير فهاجر ضمن جمع ما كانوا ليسلموا من الأسر لو بقوا مكانهم..

وصل الشهيد إلى الجمهورية الإسلامية، كانت لا تزال نشوة النصر في أوجها، لا زالت الثورة تستعر في الصدور، كل الأجواء كانت ملائمة للعمل بغزارة. إنها الفرصة التي طالما تمناها الشهيد، وها قد جاءته من دون سابق ميعاد..

لم يكن العمل مشابهاً لما كان عليه في البحرين فالجبهة كيان له مساحات واسعة في الجمهورية.. ومراكز خاصة.. هنا الإنتاج يتضاعف عدة مرات..

دوّار بجهاده

اقتصر العمل في السنين الأولى على الجانب العسكري والتنظيمي، لم تكن سنيناً خاوية إنها سنين حرب الثمان سنوات والدفاع المقدس، كان الشهيد ساكناً في قلب الحدث، ينصقل شيئاً فشيئاً.. لم يكن وحده.

كان في صلب أخيه الأصغر الذي هاجر معه فتى يراقب كل شيء من

عالـم الأرواح.. ويرسـم خارطـة الشـهادة، ويتعلـم مـما يضعـه عمـه الشـهيد عبـد الأميـر فـي ديـار الغربـة..

لـم تكـن تدريبـات الجبهـة مجـردة، لقـد امتزجـت معهـا العقيـدة بالثقافـة..

صـار الشـهيد العـم ملـماً بالثـورات التـي جـرت علـى العالـم؛ لا سـيما التـي عصفـت بالشـرق الأوسـط.. أسـبابها، ماهيتهـا، قادتهـا، أبطالهـا.. والنتائـج التـي آلـت إليهـا.. وأصبحـت تشـكل فـي ذهنـه تصـورا كامـلا، تكونـت لديـه خبـرة كبيـرة، فالإحاطـة بأحـوال الماضيـن تأخـذ بالمـرء سـنيناً إلـى الأمام..

بعـدما انطـوت صفحـة الثمانينـات انتفضـت أوال مـرة أخـرى.. حـراك جماهيـري ضخـم انتشـر فـي أوال بأسـرها، فانتقـل علـى إثـره الشـهيد إلـى المجـال الحقوقـي، كان المجـال الأفضـل والأنسـب لوضعـه.. للمشـاركة فـي انتفاضـة شـعبه..

تنقـل الشـهيد إبّـان تلـك الفتـرة مـع رفيـق دربـه المجاهـد الشـيخ محمـد علـي المحفـوظ إلـى العديـد مـن الـدول أبرزهـا لبنـان، وليبيـا، ولنـدن.. حـرك الشـهيد وصحبـه قضايـا البحريـن فـي كل هـذه الـدول، كان مترجـم المركـز الإعلامـي للجبهـة، وألقـى علـى عاتقـه أدواراً مركبـة، فلـم يكـن يشـغله سـوى الانتفاضـة.. أسـس آنـذاك مـع الأسـتاذ المجاهـد عبـد الهـادي الخواجـة منظمـة (BHRO) لحقـوق الإنسـان، والتـي لا زالـت حتـى اليـوم تحـت مسـمى مركـز البحريـن لحقـوق الإنسـان..

واصـل الشـهيد بعدهـا سـنين الهجـرة بجـوار عقيلـة الطالبيـن (كعبـة المصائـب) زينـب عليها السلام.. كان بجـوار الملهـم الحقيقـي.. بجـوار ما أفرغتـه مدرسـة علـي عليه السلام وفاطمـة عليها السلام.. مـن كانـت غربتـه بجوارهـا وطـن.. العيـش في

كنف العقيلة يرسخ في النفس تلك القيم التي فاحت من زهر كربلاء.. تنمّي الروح.. تغرزها.. تقويها، إنها الثورة التي امتزجت فيها الحماسة والعرفان.. ومَن لا يرقى وزينب ملهمة؟!!

توشح الطاغية

اجتاحت التحولات السياسية المنطقة بأسرها.. وانتفاضة الكرامة في أوال تزداد توهجاً.. و كلما توجهت لمع بريق الأمل بنصر الله في عيني الشهيد، ما كان له همّ سوى الانتفاضة.. سخّر جلّ وقته لها، يتابعها بشغف.. يشارك شعبه فيها بكل ما يمكن.. حتى انقضت السنين، وصار التوجه في البحرين نحو حل سياسي، اقترب عقد الانتفاضة من الانتهاء، مع هلاك الطاغية.. و انتقال الأمر لطاغية توشح بوشاح الصلاح ساتراً تحت عباءته كل ذميمة ورذيلة.

فكان الإعلان عن ميثاق وطني يضمن الإفراج عن كل معتقل.. وإرجاع المهجرين. إنهما العملان اللذان سيضمنان رضى الناس، إنهما ضمانة نجاح الميثاق بعد استنزاف دام لعقد أعجف، وقد حاز جزءاً من رضى السياسيين، فقد تضمن صياغة دستور جديد.. يشارك الناس بمقتضاه في صناعة القرار.. فاجتاحت بذلك موجة الميثاق بحر الشعب، جرفت معها الجميع، ربما لم تكن تلك غاية الناس، ولكن ليس من بديل فالواقع المرّ يفرض سطوته في كثيرٍ من الأحيان..

عاد للديار

وطأت قدما الشهيد العم تراب أوالـه بعد مرّ الفراق لعقدين من الزمن.. كانت لحظات معبرة، لقد شيعه موكب مهيب انطلق من المطار

حتى مسقط رأسه (بني جمرة)، هناك حيث ينتظره فوج آخر، أناس يعرفونه جيداً ـ يحبونه كثيراً ـ وكم حنّوا إليه، ولج القرية من بوابتها الكبيرة، وراح يتفحص أزقتها التي لم يتغير فيها سوى بلاطها.. وجدرانها المرصعة بصوته و صوت رفاق دربه، حتى استقر عند الحسينية الاثنا عشرية ـ أكبر مأتم في القرية ـ تجمّع في محفل الاستقبال له أناس كثيرون، ألقى في ذلك الحفل خطاباً بليغاً كان بالنسبة للعالم المحيط وقياساً بالأوضاع تغريداً خارج السرب! كان كلاماً في غير أوانه، لا يدل سوى على بصيرته النافذة.

لقد حذر الناس من غدر النظام، حذرهم من نشوة الفرح، ودعاهم دعوة جادة للسعي دائماً نحو الحل الجذري ـ لم يفقه الناس حديثه، لقد كان متقدماً بعدة سنوات ـ طوال عقدين من الزمن ما حاد تفكيره عن أن الحل لا يكون سوى باقتلاع الشجرة الملعونة، وبقي إيمانه متمسكاً بذلك حتى استشهد.

لم يأخذ من الشهيد الكثير من الوقت، لقد عادت علاقاته مع أهل القرية وكأن سنين الهجرة لم تكن، فالمجلس الذي كان يجتمع فيه الناس حول الشهيد الفقيه عبد الله العرب ها هو حفيده الشهيد عبد الأمير يفتحه مرة أخرى كل ليلة أحد ..

العقل المدبر

كانت الأوضاع السياسية في تغير متسارع، وما إن حلّت على الناس السنة الثانية من العقد الجديد (٢٠٠٢م) حتى أعلن الطاغية عن الانقلاب، لقد أعلن عن دستور جديد يختلف عما تضمنه الميثاق جاء فيه أن الملك ذات لا تمس!!

كان الشـهيد فـي عمـق الحـدث كعادتـه، يواكـب الأحـداث، يتابـع بدقـة، ويتعامـل بحكمـة وواقعيـة، لقـد تأسسـت معظـم الجمعيـات السياسـية فـي تلـك الحقبـة، فـكان الشـهيد صاحـب مشـورة الجميـع، فهـو مقبـول مـن جميـع الأطيـاف، وقلـما وجـد مـن يحمـل هـذه الميـزة فـي أوسـاط السياسـة.. ولـم يكـن كذلـك إلا لتسـليم الجميـع بأخلاقـه العاليـة..

ولحنكتـه الكبيـرة ونفـاذ بصيرتـه، لقـد عاد مـن غربتـه بصـدر مملـوء؛ عاد بمشـروع (حلـم) ورؤيـة اسـتثنائية مميـزة كان يـرى أن الخيـار الأنسـب هـو توحيـد قـوى المعارضـة تحـت مظلـة جامعـة لتكويـن تيـار إسـلامي يضـم الجميـع، وقـد سـعى لذلـك حثيثـاً بتأسيسـه مـع تسـعة مـن رمـوز الطليعـة (جمعيـة الـوفاق) كان الشـهيد بنفسـه مـن صـاغ دسـتورها، ولكـن ظـروفا قاهـرة حالـت دون ذلـك الحلـم، فأجربتـه علـى أن ينسـحب ذاهبـاً لتأسـيس (جمعيـة العمـل) مـع رفيـق دربـه الشـيخ المحفـوظ.

كان الشـهيد يهتـم بشـكل بالـغ فـي الجانـب الحقوقـي، لقـد أخـذ منـه الجهـدَ الكبيـر فـي المهجـر، وحتـى بعـد عودتـه لـم يكـن يخشـى فـي فضحـه جرائـم النظـام لومـة لائـم، ولـم يكتـرث يـوماً للعواقـب المحتملـة مـن النظـام، فنصـرة المظلوميـن غايتـه .. تلـك الغايـة العظمـى المتعلقـة بإعـلاء كلمـة الحـق..

إن الـدور الـذي مارسـته مُلهمتـه بعـد كربـلاء نُصـرة المظلـوم بفضيحـة الظالـم، ولقـد جاورهـا فـي سـنين الهجـرة لتكـون قدوتـه فـي جهـاده ضـد الظلـم..

كان يخـرج ذلـك فـي عملـه السياسـي، كان غزيـر الإنتـاج فـي هـذا الحقـل، أسـماه البعـض بالعقـل المدبـر للتيـار الرسـالي، نظرتـه الثاقبـة جعلتـه كذلـك، الواقعيـة والموضوعيـة فـي تناولـه للقضايـا أهّلـه لذلـك، لـم يكـن خيـالاً

للدبلوماسية المفرطة أيضاً؛ بل يرى السياسة من عين علي عليه السلام: (الحق أحق أن يتبع).

إن إنتاجه في بعد واحد فقط، فاق بأضعاف ما أطلق عليه (تقرير البذر)، وكان خطراً حقيقياً محدقاً بالنظام، فما كان من النظام إلا السير على سيرة الأسلاف، لم يجدوا بُدًّا عما فعلوه مع جده الشهيد الفقيه عبد الله العرب، أعادوا عجلة التاريخ سنيناً للوراء، وبالغدر نفسه وجدوا علاج ضغينتهم.

بصمات الاغتيال

كان تراب أوال يسخن شيئاً فشيئاً، الأوضاع في تصاعد مستمر، وبروز الاحتجاجات من جديد صار أمراً واقعاً، ولم يكن هناك مناص عن ردع قيادات الحراك، ولم يكن السبيل لذلك إلا بقتل أحدهم ليرتدع الآخرون..

في صباح الإثنين، عندما كان التاريخ موافقاً للعشرين من شهر شعبان خرج الشهيد من منزله صباحاً مبكراً كعادته قاصداً العمل، كان في ظاهره قاصداً العمل، ولكنه في الحقيقة يمهد الطريق لمن بعده، كان يخط بكل خطوة رسالة العشق والشهادة ليرسلها بعد الظهيرة (لعلي)..

صباح مختلف ودّع أهل بيته بابتسامة مبهمة؟؟ برودة الزائد ألقى الحيرة والاستغراب في قلب من في الدار- خرج في ذلك اليوم وكأنه يمشي في الهواء - برودة المتناهي كان منجراً بخطى متسارعة إلى موعد طال انتظاره..

إن من عادة الشهيد الاطمئنان على أهل بيته بين الساعة والأخرى إلا في ذلك اليوم.. خرج في مأمورية عمل في ساعات الدوام الأول، وانقطع

خبـره منـذ ذلـك الحيـن إلـى السـاعة الثانيـة ظهـراً..

لقـد اختُطـف الشـهيد، قادوه قسـراً إلـى حيـث المجهـول.. بضـع سـاعات كانـت شـفاء لغليـل العـدو، فالقـوم قـد انشـقوا إلـى فرقتيـن.. فرقـة تصفـي وفرقـة ترتـب حادثـاً مفبـركاً، هنـاك فـي أقصـى البـلاد حيـث لا شـهود إلا الله بالقـرب مـن العربيـن؟؟

قتـل الشـهيد، وأخـذت جثتـه إلـى موقـع الحـادث المصطنـع، وتـم إعـلان الخبـر.. اتصـال مجهـول يصـل أحـد إخـوة الشـهيد (أخوكـم سـوا حـادث فـي شـارع العريـف وتوفـي)

لـم يكـن الشـهيد عبـد الأميـر مـن الشـخصيات السياسـية المعروفـة رغـم أدواره الكثيـرة وتأثيـره الكبيـر، ما كان يعرفـه إلا القليـل، لـم يكـن رمـزاً بـارزاً، كان مـن النـوادر التـي تعمـل بصمـت، لكـن الله إذا أراد بمخلـص رفعـة رفعـه بالشـهادة.

ثوى بجانب الجد

امتـلأت فـي ذلـك المسـاء الحزيـن مقبـرة بنـي جمـرة حتـى غصـت بالمعزيـن فـي يجـر الأهـوال، فالحـزن أطبـق كفيـه علـى رؤوس النـاس.. كان البـكاء مـراً جـداً وليـس يُسـمع سـواه.

لقـد أبانـت تلـك الليلـة أن أثـره الاجتماعي يفـوق الأثـر السياسـي بأضعاف، وكان ذلـك لخلقـه العلـوي وروحـه المحمدية.

شـيع الشـهيد فـي موكـب مهيـب حضـره النـاس مـن مختلـف المناطـق، ودفـن فـي تلـك البقعـة المميـزة ذات القبـة الخضـراء؛ حيـث الشـهيد الفقيـه عبـد الله العـرب. كان فـي وسـط تلـك الضجـة نحيـبٌ مختلـف كان يختـرق

الحجب ويصل إلى أقاصي السماء، لم يكن ناتجاً عن آلام الفراق؛ بل كان عتب فتى يافع لا يبلغ الثالثة عشر؛ كان يعتب على عمه الشهيد إذ لم يأخذه معه، وكأن تلك الدموع لم تسكن إلا ببشرى ألهمه الله إياها.

اعرفوا رجالكم

كان لاستشهاده أثر بالغ طال أبعاداً عدة لم تقتصر على قريته وبلده، لقد بلغ ذاك الأثر تلك البقعة الطاهرة التي ضمته في أقصى سنين حياته سنين الغربة.

لقد ضج محيط السيدة زينب عليها السلام ضجة الفاقدين، وفي نفس الوقت تلك الليلة صبغت صور الشهيد عبد الأمير الجدران هناك، ونصبت له المآتم ومجالس العزاء وكأن الشهيد منهم بل هو منهم.

ومثل ذلك كان حال أوال لا سيما قريته التي أنّت لفقده أنّة فجيعة، ولبست لأجله سربال السواد وما برحت عزاه الذي شاركت فيه حوزتا قم والنجف، وظهر فيه سماحة المجاهد آية الله السيد هادي المدرسي في مقطع تصوير مباشر، وأبان فيه شخصية الشهيد مختتماً ذاك الخطاب بعبرة مؤثرة بليغة (يا شعب البحرين اعرفوا رجالكم قبل فوات الأوان) لقد لفت الناس إلى أن الشهيد رجل نادر (لا يقبل بأنصاف الحلول).

عرج عبد الأمير لينضم إلى تلك القافلة؛ قافلة النور التي انطلقت من ربى بدر، وسارت تبني الدرب؛ درب المجاهدين على مرّ العصور حاملة معها من هو لائق فقط..

تجرد عبد الأمير من ثوب الدنيا، رحل إلى حيث يجب أن يكون هناك مع الحسين وصحبه، غاب عنا بجسده الترابي مخلفاً وراءه من لا

ينسى؛ عُصبة قد أخذت على نفسها عهد المسير في ذات الدرب.

ترك في عقبه من هم في موقع من ينتظر وما بدلوا تبديلا، ومنهم من صدق ما عاهد الله عليه وقضى نحبه في الله

(الشهيد الإلهي علي العرب)

بين الأصلاب الأبية

هكذا كان «علي» ينتقل بين تلك الأصلاب الأبية.. يعبر الأجيال من صلب إلى صلب، ومن جيل إلى جيل إلى أن تفجر فيه العنفوان، وضاق به ذلك العالم.. فبرز إلى الدنيا .. في أعتى الظروف، وأصعب الأوقات، ليلهمنا كيف تكون الحياة.

لقد كان والد الشهيد علي ممن هُجِّروا مع أخيه الشهيد عبد الأمير العرب ومجاهدي الجبهة.. وكم قاسى والد الشهيد ما قاسى طيلة عقدين من الزمن.. أخذته عواصف الهجرة فيهما إلى أقاصي البلاد وأدناها.. إلى أن أفصح رحم تلك الغربة عن الشهيد علي ليلج الحياة من بابها الضيّق في أحوال قاهرة.

كان والد الشهيد في سنين المهجر يبحث عن الاستقرار لأسرته.. وهل للاستقرار طعمٌ في غير الوطن.. لذلك قرّر استغلال الانفراجة السياسية التي كانت مع بداية انتفاضة الكرامة.. فحينها سُمِح لعددٍ من المهجرين بالعودة.. فبادر والد الشهيد مع مطلع سنة ١٩٩٣ م للعودة بأسرته التي لم يكن فيها (علي) بعد..

لم تكن مبادرة، بل مجازفة ـ فمجاهدي الجبهة كانوا جميعاً تحت المجهر ـ فحينها كان والد الشهيد أقرب إلى الاعتقال من السماح له

بالدخـول .. ولكـن ظـروف الانفراجـة أسـعفته.. فعوضـاً عـن اعتقالـه قامـوا بتهجيـره مـرة أخـرى، ولكـن هـذه المـرة إلـى دولـة شـقيقة.. (الإمارات) ليكـون تحـت أعينهـم وفـي مرمـى بنادقهـم..

فـي الإمارات.. أتـمّ والـد الشـهيد وأسـرته سـنة ١٩٩٣ م بـولادة (علـي) الـذي أهـلّ عليهـم فـي آخـر يـوم مـن تلـك السـنة ١٩٩٣/١٢/٣١ م .. بـان هلالـه.

قساوة الاغتراب

أطـلّ علـى الدنيـا فـي تلـك الأوضـاع المضطربـة .. فتـح عينيـه ليـرى نـور الشـمس يشـع فـي سـماء الغربـة .. كان لحمـه ينمـو، ولكـن ليـس كباقـي الأطفـال .. كان ينمـو بقسـاوة .. حتـى أظافـره لـم تعـرف سـوى الخشـونة فـي نموهـا .. فالغربـة هكـذا لا تنتـج إلا الخشـن والقاسـي..

ثـلاث سـنين ونيـف كانـت مـدة بقائهـم فـي (الإمارات).. كان القـرار بعدهـا الانتقـال إلـى أرض الحجـاز إلـى مسـقط رأس أم الشـهيد، مدينـة (صفـوي) فـي المنطقـة الشـرقية..

لـم تكـن الأمـور لتمضـي دون عوائـق، فبالرغـم مـن مـرور أكثـر مـن عقـد علـى تلـك القضيـة، إلا أنّ أثرهـا لـم يـزل طرّيـاً، ولـم تكـن السـلطات فـي الحجـاز لتصـرف النظـر عـن أحـد أعضـاء ذلـك التنظيـم الـذي تعثـر فـي خطوتـه الأخيـرة فـي سـعيه للقضـاء علـى نظـام شـقيقته الصغـرى بسـابقةٍ عسـكرية هـي الأولـى مـن نوعهـا.

لقـد سـمح لأم الشـهيد وأبنائهـا بالدخـول، إلا أنهـم احتجـزوا والـده الـذي أسـعفته حلحلـة الأوضـاع السياسـية مـرة أخـرى، فلذلـك لـم يـدم بقـاؤه سـوى ثلاثـة أيـام حققـوا فيهـا معـه فـي سـجن الإحسـاء.

على رمال صفوى

اشتدّ عود الشهيد علي على رمال صفوى الذهبية؛ تلك الأرض التي لم تكن أجواؤها بعيدة عن أجواء أوال .. فهي جزء من أوال الكبرى .. وكل شيء بينهم متشابه إلى حد بعيد..

إلا أن حياة علي وإخوانه لم تكن مكمل الفصول.. كان الجزء الأكبر مفقودا، لذلك كان الشهيد يكْبر ويكبر معه السؤال الذي يشق له الأفق، لماذا؟!

رسم ترابه

بدأ الضباب ينقشع من أمام تلكما العينين اللتين لطالما راحتا ما وراء ذلك الضباب. فها هم يسمحون لوالده وعائلته بالعودة إلى الوطن بعد ميثاق ٢٠٠١ م بعد هجرة دامت لما يزيد عن عقدين ونيف ..

كان ابن الثمان سنوات الوحيد من بين إخوته الذي شدّه عبق أوال.. سرعان ما امتزجت روحه وهواؤها، وكأنها ما إنّ حل على تربتها همست في أُذنه بشيء جعله يتعلق بها تعلّق الفصيل بأمه.. سرّ لن ينكشف إلا بعد ما يزيد عن العقد والنصف؛ سرّ الشهادة..

لقد رسمت قدماه

حالت ظروف العمل والدراسة دون استمرار الشهيد وعائلته في الوطن، فصاروا يترددون بشكل دوري ترددا لا يروي الظمأ الذي خلفته سنين الغربة..

وبعد عامين من الذهاب والإياب، رتّب والد الشهيد جميع لوازم

الاستقرار في الوطن، فجاء بأسرته واستقر في موطنه الذي فارقه وهو لم يبلغ العشرين.. ربما كان الاستقرار قصيراً نسبة لسنين الهجرة الطوال.. فلم يدم سوى ست سنوات! لكنه كان كافياً ليختار علي قدره..

كانت العشر سنوات تشير إلى عمر الشهيد علي؛ أي أنه كان لم يزل عجينة طرية في مؤثر النضوج، لا زال في العمر الذي يستكشف فيه الأطفال العالم من حولهم ..

كان ظاهره كذلك يمرح ويلعب ويكوّن الصداقات كباقي أقرانه، لكن عندما يعيد شريط الزمن إلى الوراء ويدقق النظر في خطواته يرى أن تلك القدمين كانتا تبحثان عن شيء ما؛ بل ترسمان شيئا ما .. كانتا ترسمان مصيره .. لقد رسمت أنامل قدميه مصيره، لكنّ الصورة لم تكن بينة، فكأنها كانت مرسومة على بقعة رملٍ خفية.. لن تلبث طويلاً حتى تظهر للعيان..

سيجيبه الميدان

كان الشهيد رغم صغر سنة ذو طبع اجتماعي مكنّه من تكوين العديد من الصداقات مع أبناء قريته.. كانت صداقات بريئة لأطفال غلبت على حياتهم مغامرات المراهقة..

ولكن لم يمضِ الكثير من الوقت حتى طغى جو من الجدية على تلك الحياة البريئة لسبب ما! إنه عام ٢٠٠٦ م الذي جاء بحراك الميدان مرة أخرى، وصار فيه حديث السياسة شغل الناس الشاغل.

لم يكن هناك مجال لدى الشهيد علي للتفكير فقد انجرّ بشكل فطري لا إرادي إلى الحراك، فهذا الحراك ذاته الذي كان يجيبه على

التساؤلات التي أثقلت صدره الصغير منذّ وعى على هذه الدنيا في المهجر.

اختر موتك

آمن الشهيد بالميدان، آمن بأنّ هناك شجرة ملعونة لا بدّ من اجتثاثها؛ أي أنّ الجزء الأكبر من الأحجية قد حُل، والرموز المشفرة في حكايات والده التي بدأت الأحوال التي يعايشها في حلها تلازم الشهيد مع عُصبة كان دأبهم الميدان، كانت عصبة متناسقة، فيها أعمار متفاوتة، منهم الخبير، ومنهم المجرب، ومنهم من هم كحال الشهيد يعيشون التجربة للمرة الأولى.. بالإضافة إلى حياته الاجتماعية التي كانت لها الدور البالغ في تكامل شخصيته الجهادية، تلك الحياة التي كان فيها لين العريكة، خدوماً متواضعاً وبشوشاً .. والتي قادته فيها سجيته لأن يكون فرداً في ركب خدام الحسين عليه السلام بـ (هيئة كربلاء المقدسة) التي كان معظم أفرادها إن لم يكن جلهم من نفس عصبة الجهاد تلك. كان لا بد له من التقدم، فهيئة كربلاء كانت منظومة شبابية لها يد معتدة في كل ركن في القرية، مما تحدو بمن ينضم إليها للارتقاء، ..

فضلاً عن أن القيم يكمل بعضها بعضاً، فالتناغم كبير وواضح بين الاجتماعية الحسنة وخدمة الحسين ودرب الحسين..

لذلك لم تكن أمام الشهيد عقبات تعيقه عن الانخراط بعمق في ذلك الميدان، وبين هذا وذاك أتته رسالة من السماء على لسان شهيد مثله؛ رسالة كانت بمثابة الوتد الذي زاد قدمه رسوخاً في ذلك الدرب زادته تصميماً وإيماناً.. فبينما كان ماراً في إحدى الليالي وسط القرية مع عدد من أفراد تلك العصبة المجاهدة استوقفه عمه الشهيد عبد الأمير

العـرب ودار بينهـما حديـث لبضـع دقائـق اختتمـه الشـهيد عبـد الأميـر قائـلاً للشـهيد علـي (كل إنسـان هـو إلّـي يحـدد چيفـه يمشـي مـن هالدنيـا فـي النهايـة).

وودعـه ومضـى بينـما بقـي الشـهيد علـي متسـمراً فـي مكانـه يترجـم كل حـرفٍ مـن تلـك العبـارة ذات النبـرة الغريبـة..

ثـم مشـى مـع صحبـه وراحـوا فـي عملهـم، ولكـن دوي تلـك الكلـمات لا زال يصـدح فـي أذنـه؛ بـل سـيبقى كذلـك إلـى حيـن استشـهاده.. كيـف لا يكـون ذلـك وقـد حدثـت بعـد أيـام قليلـة مفارقـة مذهلـة باستشـهاد صاحـب تلـك العبـارة..

يا لثاره

كان لاستشـهاد عمـه الأثـر العميـق علـى نفسـه، فالأمـور بـدأت فـي الانحنـاء نحـو الجديـة بشـكل أكبـر، وصـارت تحـرك أنفاسـه مشـاعره الثائـرة؛ صـار يـرى نفسـه ملـزوماً بـدم عمـه .. لـم يكـن شـعوراً عبثيـاً، ولا آنيـاً.. فهـو مرتبـط ارتباطـاً وثيقـاً بحركـة الإمام الـذي سـينهض بثـارات جـده فـي آخـر الـزمان .. لقـد بـدأ كل شـيء يتبلـور بالشـكل الصحيـح فـي ذهنـه المتأجـج.

المهجر مرة أخرى

حـل عام ٢٠٠٩م جالبـاً معـه ما لـم يكـن موائـما مـع الشـهيد علـي؛ إنـه خبـر العـودة إلـى المهجـر مـرة أخـرى، ولكـن الهجـرة طـوعا هـذه المـرة، فظـروف عمـل والـد الشـهيد هـي التـي حتمـت ذلـك، فعـاد الشـهيد مـع أسـرته إلـى مهجرهـم الـذي ألِفـوه وطنـا لهـم؛ مدينـة (صفـوى) مسـقط رأس والدتـه وموطـن أخوالـه المقربيـن لـه ولإخوتـه جـداً.

عاد وضع الشهيد وعائلته كما كان قبل ست سنوات؛ تردٌّ دوري بشكل أسبوعي، ولكن الفرق الجوهري كان في أن الشهيد صار يدور في فلك معارف أوسع متى ما قدم إلى الموطن؛ معارف ليست مقتصرة على أقاربه بل شملت أصدقاء عدة يحملون الهموم نفسها التي تشغل باله والاهتمامات عينها التي تملأ فكرة.

والتجارب صقالة

لقد عاش الشهيد في تلك الفترة التي تزامنت مع عامه السادس عشر في هذه الدنيا فترة حماس متّقدة كانت تدفعه إلى الوطن متى ما تأتت له الفرصة. لا لشيء سوى للمشاركة في الحراك، لقد أبانت تلك الفترة أن تعلقه بوطنه وتعلقه بأبناء وطنه ذو هدف سامٍ، وليس مجرد شعور عاطفي فطري يراود الجميع، كان يسعى بجد لأمرٍ ما لا تدركه الأبصار ولا تفقهه العقول.

كانت تبرز على الشهيد سِمة الشجاعة والجرأة منذ صباه، و إنّ أكثر المواقف التي متر بها كانت تبرهن على ذلك.

حتى يذكر أحد أصدقائه المقربين أنه في إحدى الفترات التي كانت فيها القبضة الأمنية مشتدة كان هو والشهيد مع عدد من صحبهم يستلقون، فاستوقفتهم إحدى الدوريات التابعة لقسم المخابرات (الشرطة المدنيين)، فبدؤوا بإهانة واستفزاز من في الحافلة فقط من التأكد من هوياتهم.. حينها لم يطق الشهيد صبرا، وبدأ بمحاجّتهم والصراخ في وجههم، فكان منهم ما هو متوقع؛ حيث انهالوا على الشهيد بالضرب بغية التنكيل، ولكن ما كان لهم ذلك، فليس الضرب والترهيب ما يثني الشهيد بل ما يزيده ثباتا وإصراراً.

كانت مثل هذه المواقف مهمة بالنسبة للشهيد، فهي بالإضافة إلى أنها تزيد من جهوزيته فقد كانت تعرّفه حجم عدوه ووهنه، وهذا ما دلت عليه إحدى المرات التي كان فيها الشهيد متظاهراً في قريته مع صحبه عندما أعد لهم المرتزقة كمينا بالقرب من إحدى المزارع، وتمكن أصحاب الشهيد من التخلص من الكمين إلا هو؛ توقف لا لبطء في بديهته وإنما رجع لأحد أصحابه لأنه تعثر في طريق انسحابه من الكمين، رجع ليساعده على تسلق الجدار، فأدركهما أحد المرتزقة، وأمسك برِجل الشهيد، ولكن الشهيد باغت المرتزق بضربات متتالية بسيخ حديدي على رأسه في موقف يعكس شجاعة الشهيد ومروءته، وهو موقف سيتكرر مرارا، فقد كانت مثل هذه الصفات تأصلت فيه، ولمّا تكن شيئا عارضا أو ردة فعل طارئة.

كانت هذه النماذج وأمثالها تتكرر مع الشهيد بشكل مستمر، وكانت تصقله شيئاً فشيئاً.

طوفان الثورة

بقي الشهيد على هذه الحال بين ذهاب وإياب، كان يبحث عن شيء ما كغاية أو هدف أو ربما كانت ضالته التي بدأت في البزوغ عند اندلاع الثورة في الرابع عشر من فبراير لعام ٢٠١١م.

دخل الشهيد مخالب الثورة برفق، فليس من عادته العجلة، كان متريثا في خطواته رغم مشاركته الحثيثة في كل فعالية متاحة في بادئ الأمر.

ولكن مع اشتداد الثورة وتصاعد الأحداث ما بين العامين ٢٠١٢م و٢٠١٣م.

ارتبط الشهيد علي بمن سيأخذ بيده نحو ضالته، ارتبط بالشهيد القائد رضا الغسرة، إن هذا الارتباط المفصلي بين الشهيدين غيّر نظرة الشهيد عليّ للكثير من الأمور، فكأنما رأى أن ما يعترك بداخله يجري على يدي الشهيد القائد رضا، ويسمع ذلك في كلامه أيضاً.

فالشهيد علي كان مؤمنا في قرارة نفسه بأن الخلاص في المقاومة ولا شيء سواها، خاصة وأنه في تلك الفترة كان معاينا بل مشاركا في حراك القطيف، هناك حيث مسقط رأس والدته، والثاني ها هنا في موطنه أوال، وكان يرى كيف أن الأساليب التي ينتهجها أبطال القطيف ستكون أشد تأثيرا وأكثر فاعلية متى ما انتهجها أبناء وطنه، فالتنظيم هنا أيسر، والتماسك أشد والعدو أوهن.

لم ينغمر بل تقدم

كان الارتباط بين الشهيدين ينمو كلما مر الوقت أكثر، كان الشهيد رضا يجمع الأفكار المشتتة في ذهن علي، لم يكن يجمعها بل كان يفرزها، فالأفكار كانت مختلطة في ذهنه، كان يصقله ويهيئه لأمر ما ستبدي به الأيام.

لم يغير الشهيد علي من ظاهره شيئا، واستمر علي مثل حاله يشارك رفاقه التظاهرات وفعاليات الثورة؛ بل وكان كلما أتى إلى هنا يتعمد البقاء والمكوث مع رفقائه المطاردين ليقاسي ما يقاسون ويعاني ما يعانون.

ولكن ما كان ملزما به بحكم علاقته بالشهيد القائد رضا هو المحافظة على نفسه.

فطبيعة عمله مع الشهيد رضا لا يصح أن يكون فيها مطلوبا أمنيا،

فهي في أبسط حالاتها تستوجب التنقل بين موطنه والقطيف بأريحية، فكان عليه أن يحذر حتى من مواضع الشبهة.

وقد نجح الشهيد علي في ذلك حتى صار ذاك المجاهد المغمور صاحب الأدوار المركبة والمهام الصعبة، كان متوشحاً بوشاح يجعل كل من يراه فرداً ممن يكثرون السواد في الصفوف المتأخرة، كان ظاهره في المؤخرة ولكنه في الحقيقة المخفية عن العامة في الطليعة؛ بل في مقدمة الطليعة ذات الأدوار التي لم يجد الشهيد القائد كفؤاً لها سوى الشهيد علي، وكان من أبرز ذلك تهريب قطع سلاح من القطيف إلى الوطن، وهو الأمر الذي كان يؤديه بسلاسة تامة؛ بل ويذهب في بعض الأحيان إلى أبعد من ذلك عندما تُوكل إليه مهمة التدريب الجاف الذي لا يستدعي إطلاق النار.

كل ذلك كان يجري داخل منظومة على رأسها الشهيد أبو الحسن، تلك المنظومة التي كانت في حقيقتها مصنعا للشهداء.

كانت المنظومة تعمل وفق أساسيات احترافيه أبسطها الأمنيات التي لا تسمح بتعرّف الأعضاء بعضهم على بعض أو معرفة الأعضاء بجزئيات عمل ما إلا على قدر الحاجة.

كانت الأمور تسير - رغم عسر الظروف - في نصابها الصحيح. عمل دؤوب، وإعداد مستمر، جهد متواصل وإنتاج مثمر، لا يتبادر على عقل أحد أن القائم على كل هذا هو شاب لم يبلغ الخامسة والعشرين من عمره، لكنه ليس كأي شاب إنه القائد رضا الغسرة الذي صنع كل هذا بعرقه ودمائه وإخلاصه وإيمانه وإرادته الصلبة.

واصل الشهيد علي عمله بدأب في مختلف الظروف، كان مثابرا

ومصرا على تعزيز فكرة المقاومة في نفوس رفاقه، وكان دقيقا في ذلك فلا يختار الأشخاص إلا بعناية كبيرة وبمشورة لا غنى عنها من الشهيد القائد رضا، وينقل ذلك بتجربة واقعية أحد المقربين للشهيدين عندما واعده الشهيد علي في أحد الأيام قائلاً له: **«ابغيك يوم العيد بخبرك عن شغلة».**

وعندما حان الموعد والتقيا في النقطة المحددة بادر الشهيد علي مباشرة بمد يده في الحقيبة التي كان متأزراً بها، وأخرج منها قطعة سلاح (فرد) وأمّنها وأعطاها صاحبه، وقال له تفحصها، ومن ثَمّ أخذها من يده وبدأ بتفكيكها وهو يشرح كيفية استخدامها، وبعد الانتهاء أعادها لوضعها الطبيعي، وأعطاها لرفيقه وقال له: **«خلها عندك بتحتاج إليها في الأيام الجاية بس أهم شي أنك تتعامل ولا كأن عندك شي»**، ومضى عنه.

ما يحكيه القدر

تعاقبت الأحداث ودارت الأيام والعمل تقدم وتطور، لكن في مثل هذا الدرب لا يحكم المنطق دائما وإنما تكون الكلمة الفصل والغلبة للظروف التي يحكيها القدر، وهذا ما أسفر عنه مطلع عام ٢٠١٤م الذي حل بإعلانه اعتقال آخر رفاق الشهيد علي الذي سبقه باقي صحبه متفرقين عنه بين مهجّر ومعتقل وشهيد.

من ها هنا بدأ فصل جديد في مسيرة الشهيد، صار لزاما عليه تغيير أسلوبه في العمل والحذر اكثر؛ بل والتوقف عن العمل في بعض الأحيان. تغيرت الأجواء كثيراً بالنسبة إلى الشهيد علي بالرغم من بقاء أسلوب الحراك كما هو عليه، تغير الوضع عليه الآن، أدواره المركبة تحتم عليه أن يختار كل شيء بدقة، ويحسب كل خطوة يخطوها حتى رفاق دربه

يجب أن يكونوا منتقين بعناية، فهو لا يزال فرداً من أفراد تلك المنظومة التي حتى ذلك الحين استشهد من أعضائها اثنين من خيرة المجاهدين القادة الميدانيين؛

الشهيد علي الصباغ والشهيد فاضل مسلم، واعتقل آخرون على رأسهم الشهيد القائد رضا الغسرة، ولكنها بقيت قائمة تعمل؛ بل وتواكب تطور الحراك مع تسارع الأحداث، ويعود ذلك بعد توفيق الله وبركات محمد وآل محمد عليهم السلام إلى حسن تدبير الشهيد رضا الذي عجزت القيود والقضبان في المحكمة أن تأسره، فلم يلبث في سجنه سوى بضعة أسابيع بدأ بعدها بالتواصل مع من بقى من أعضاء المنظمة خارج السجن، وذهب إلى أبعد من ذلك عندما قام بضم أفراد جدد إلى جانب العناصر السابقين، كان كل شيء ينبئ عن أن الشهيد القائد عازم على أمر ما سيظهر للعيان في أحد الأيام حتى مر الشهيد رضا بظروف أجبرته على الانقطاع عن الخارج فترة كان التواصل بعدها فاعلا أكثر، وقد أثمر عن فتح مبين، فالذين كانوا يجسّدون نهج الشهيد القائد في الميدان كانوا يعملون بوصاياه فترة الانقطاع القهري، ولم يكن الشهيد علي استثناءً بل كان في طليعتهم.

لملمة الشتات

عاش الشهيد علي في فترة ما بين ٢٠١٤-٢٠١٦م حياة مغايرة عما كان في السابق، فكل شيء كان قد تغير ليس على مستوى العمل فحسب فحتى حياته الاجتماعية تغيرت كليا، وصارت له فيها أدوار لم تكن في السابق، فقد اعتُقل من اعتقل، واستشهد من استشهد، وصار مقتربا من بمجموعة جديدة ربطه بهم ميدان كان غالبيتهم يصغرونه سنا مما

يرمي على عاتقه مسؤولية أكبر، لكن لم يكن عائقاً أمام الشهيد، فهو ودود وخدوم بالفطرة، إضافة إلى أن الظروف التي مر بها أكسبته الحكمة وحسن التدبير.

لقد نجح الشهيد في لملمة شتات الثوار في فترة كان عزوف الجماهير فيها واضحا وكبيرا، كان دائم التشجيع لهم ومشاركا لهم في كل شيء بالرغم من كونه ملتزما بدراسته الجامعية هناك في إحدى جامعات الحجاز التي كان تحصيله العلمي فيها جيدا جدا، ويسير في الفصول الأخيرة فيها، لكنه كان منسجما وموفِّقا بين حياته هنا وهناك؛ بل وكان آخذاً بيد أصحابه إلى التوفيق بين الدراسة والثورة، فلم يكن يرى انفصالا بينهما وإنما يرى أن كلّا يكمل الآخر.

كان مصرا على استمرارية الحراك، فلم يدع مجالا لأن تعرقل مسيرة الثوار شدة صغيره كانت أو كبيرة، فإلى جانب دعمه المعنوي الدائم لهم كان يسعى لسد حوائجهم المادية التي تتعلق بأدوات الدفاع المقدس أو المستلزمات للمسيرات الجماهيرية.

إن هذه الأدوار كانت تحتم عليه أن يتصل بالثوار المطاردين الذين كان معظمهم من صحبه المقربين، فصار يعيش كما يعيشون، ويقاسي ما يقاسون؛ بل ويجهد نفسه في تلبية متطلباتهم، وقد كان بينهم خير مثال يرون فيه توازن القيم ذلك الصاحب الذي يذكرهم دائما بعدم الغفلة عن صاحب الزمان وأنه الغاية من كل هذه التضحيات، ونفسه الذي يحثهم على ضرورة التعلم وأهمية القراءة، وقد ذكر أحد أصدقائه المقربين قائلاً: **«كان الشهيد علي العرب يدعونا للقراءة دائماً وخاصة كتب سماحة المجاهد آية الله السيد هادي المدرسي»**، وربما كان التواضع هو أبرز سمة امتاز بها الشهيد الذي لم تفارق الابتسامة محياه

حتى حين تواصيه بالمعروف ونهيه عن المنكر، كان مجبولا على الرسالية ولا تكلُّف في سلوكه.. وفي كل ذلك كان عليه الحرص والحذر خاصة في نزوله للميدان الذي لم يتخذ فيه دورا مباشرا عن عمد وقصد لكونه مرتبطا بمنظومة الشهيد رضا الغسرة التي ينتظره فيها الكثير، ولكن في نفس الوقت كان مؤثرا في ذلك الميدان الذي يشهد له به جميع من عرفه، وبعيدا عن كياسته وفطنته فقد غلبت على شخصية الشهيد في الميدان أخلاقه، فكان إذا ما احتدمت المواجهات وصار الكر والفر يغفل عن كل شيء ويركز على الدفاع بحيث يكون آخر المنسحبين ولا أحد بعده. وقد نقل أحد رفاقه قصة معبرة بهذا الشأن: أنه في إحدى المرات التي انسحب فيها جميع الثوار، وبقي هو والشهيد علي قام أحد المرتزقة بالتصويب مباشرة على الشهيد بسلاح الشوزن، فأصيب حينها الشهيد، وقام بعد إصابته بالركض نحو صاحبه واحتضانه، ولم يفقه ذلك الصاحب فعل الشهيد إلا بعدما أصابت الطلقة الثانية ظهر الشهيد، فقد احتضن صاحبه ليحميه في حركة بديهية لا تنم إلا عن خلق كربلائي زرعه أبو الفضل عليه السلام في قلب من أحبه.

عالم الشيعة وسيّدهم

ولم يكن علي بعيدا عن عالم الشهداء الذي لطالما هام فيه، فقد كان متعلقا بالشهيدين علي الصباغ وفاضل مسلم إلى حد كبير، ولم يفتأ عن زيارة ضريحهما متى ما تسنت له الفرصة، وقد أخذ على عاتقه المهمة التي كان بعض الصحبة المتعلقين قائمين عليها وهي مضيف الإمام الحسين عليه السلام المنصوب باسميهما بجوار ضريح الشهيد علي الصباغ، كان على يقين بأن دماء الشهداء هي الضامن لاستمرارية الثورة، فلا يصح الاجتناب عن إحياء ذكرهم مهما تعذرت الظروف، وهذا ما يفعله

أحد رفاقه المقربين بأن الشهيد علي كان يعد العدة لإقامة تأبين وذكرى استشهاد علي الصباغ وقد قام وصحبه بجمع الدراهم لذلك، ولكن تعذر باعتذار عوائل الشهداء عن حضوره مما دعا الشهيد إلى الإصرار على أحد رفاقه بأن يصر على عوائل الشهداء، ويكرر الاتصال بهم للحضور ما دام نجاح الفعالية متهيئاً بوجودهم إلى أن انتهى الأمر بحضور عوائل الشهداء ونجاح المتأهبين.

لم يكن ارتباطه بالشهداء اعتباطيا.. فأي امرئٍ سكن في جوفه حب الحسين عليه السلام لابد له من أن يعيش حالة عشق مع السماء، والشهيد علي كان من أولئك الذين رمقوا الحياة من عين عاشوراء، ورهنوا أعمارهم لخدمة الحسين عليه السلام، فكان يصر على الحضور لإحياء مناسبات أهل البيت مهما كانت الظروف، كان يرجو شيئاً من الحسين عليه السلام ويتحسر عليه دائماً، وقد برهنت على ذلك الطريقة التي زار بها الحسين عليه السلام في أربعينيته في المسيرة الأخيرة له في الدنيا، كان متواجدا مع رفاقه في بلدته بني جمرة في أيام زيارة الحسين عليه السلام، ولم يكن قد تبقى من الوقت سوى أربعة أيام، وجاءت لهم فرصة لم تكن في الحسبان، أعد الجميع العدة بسرعة إلا الشهيد لم يكن معه جواز سفره وبينما كان الجميع يتأهب للسفر كانت نار الشوق للحسين تتأجج في صدر الشهيد، فلم يطق صبراً وفزع على حين غرة وقال: **«لابد لي من الذهاب معكم»**، معقباً: **«إن مثل هذه الفرص لا تتكرر دائماً.. سأذهب لآتي بجواز سفري وأرجع»**، انصدم الجميع من هذا القرار الفجائي، وانتابهم شيء من الخوف والقلق فالساعة كانت تشير إلى الثانية بعد منتصف الليل، والطريق من بلدتهم إلى حيث مكان سكنه في مدينة صفوى طويل، ولكن ما كان لأحد أن يصرفه عن قراره حينما انطلق الشهيد بأقصى ما يمكنه من سرعه غير آبه بوعورة الطريق فليست تلوح أمام

ناظـره سـوى تلـك البقعـة قبلـة العاشـقين.

وصـل الشـهيد إلـى منزلـه وتنـاول جـوازه وأقفـل راجعـا دون أن يتباطـأ لحظـة واحـدة، واسـتطاع أن يصـل فـي الوقـت إلـى بلدتـه وكتبـت لـه الزيـارة، كان حريـاً بقلـبٍ يحمـل كل هـذا العشـق والشـوق أن يوفـق للوصـول، وقـد وصـل الشـهيد ولا ريـب فـي أنـه طلـب مـن الحسـين عليه السلام أمنيتـه الأخيـرة.

أمنيتي

كانـت تلـك الأمنيـة تلاحقـه فـي كل آنٍ ومـكانٍ لا سـيما فـي خلواتـه مـع ربـه، **«إلهـي إن كان لا بـد مـن المـوت فاجعـل موتـي شـهادةً فـي سـبيلك»**.

كانـت معايشـته للشـهادة حاضـرة معـه علـى الـدوام فـي كل آن ومـكان حتـى فـي الأماكـن التـي لا تمـت للثـورة بصلـة كأنهـا كانـت شـغله الشـاغل ولا شـيء يسـكن فكـره سـواها، كان يراهـا فـي كل شـيء يقـع نظـره عليـه، يلهـج بذكرهـا دائـماً، ويتحسـر عليهـا دائـماً، ويذكـر ذلـك أحـد رفاقـه الـذي نقـل أنـه فـي إحـدى الجلسـات التـي جمعـت الشـهيد علـي وعـدد مـن صحبـه فـي مجلـس كان جـوه بعيـداً عـن الثـورة، وبينـما كان الأصحـاب يتبادلـون أطـراف الحديـث لوحـظ الشـهيد مطـرقاً رأسـه وسـارحاً بفكـره، فهـزّه مـن كان بجانبـه: **«ما بـك يـا علـي ؟!»** فأجـاب الشـهيد بنبـرة تعتريهـا الحسـرة بـما يختلـج صـدره مـن هـمّ: «أنـا لا أعلـم لـمَ أنجـو كل مـرة مـن القتـل أثنـاء التظاهـرات رغـم أن المسـافة بينـي وبينـه لا تتعـدى القليـل مـن الأمتـار فـي كل مـرة»، فأردف آخـر سـاخراً: «إن الله لا يريـد لـك الشـهادة مَـن مثلـك ذو سـبعة أرواح لا يمـوت»، فانفعـل الشـهيد باديـاً علـى وجهـه ملامـح الاضطـراب، ونـزع قميصـه وأشـار إلـى منطقـة فـي ظهـره وقال لصاحبـه: «تمعـن فـي هـذه النقطـة جيـداً، سـيحرقها الرصـاص فـي يـوم مـن الأيـام وأستشـهد».

فضحك على ما قاله بعض صحبه، فأطرق الشهيد رأسه خجلاً وقال باستحياء: **«اضحكوا اضحكوا الآن ولكن سيأتي اليوم الذي تبكون فيه على رحيلي شهيداً».**

ملامح العملية

كان يتخلل كل ذلك الزخم الذي يعيشه الشهيد، تواصلٌ حمي وعمل دؤوب مع قائد تلك المنظومة المظفرة الشهيد رضا الغسرة، جاء بعد الظروف التي أجبرته على الانقطاع لمدة شهرين وأكثر، والأيام ستبدي عن شيء مهيب، لا بد له من إعداد منظم ودقيق سينتجه هذا التواصل.

بدأ الأمر عندما طلب الشهيد القائد من الشهيد علي العرب أن يجلب بعض أجهزة اللاسلكي «البرقيات» تهريباً من المنطقة الشرقية للحجاز إلى بلدة بني جمرة، أتم الشهيد عليّ المهمة بسلاسة ونجاح وجاء بالأجهزة، ولكنه ظل يتساءل بينه وبين نفسه عن السبب، فالوضع كان فاتراً والحراك لا يتعدى المسيرات والمناوشات، وحتى العمل المتعلق بالمنظومة لم يكن يتطلب الأجهزة التي يغطي مداها ما يصل إلى عمان!!

بقيت الحيرة ملازمة للشهيد علي في شغف لمعرفة ما يدور في ذهن الشهيد رضا، فالخطوة التي أقدم عليها تنبئ عن عمل متقدم غير الذي اعتاده، ولكن سرعان ما انجلت تلك الحيرة وتبددت التساؤلات التي كانت تساور الشهيد علي، فلم يمض الوقت الكثير حتى أفصح الشهيد القائد عمّا يسكن لبّه..

لقد أُخبر الشهيد علي عن عزمه على عملية التحرير..

مـما أثـار اسـتغراب الشـهيد علـي، فليـس فـي مثـل عمليـات التحريـر جديـد علـى الشـهيد القائـد رضـا، فقـد فعلهـا مـراراً وتكـراراً إلـى أن أبـان الشـهيد القائـد الأمـر بـأن هـذه العمليـة لـن تكـون عمليـة تحريـر عابـرة وإنـما قفـزة هائلـة فـي مسـيرة المقاومـة لهـذا الشـعب، وسـتكون العمليـة التـي سـتبيّن بنجاحهـا للقاصـي والدانـي حقيقـه أنـاس أوال، فقـد أخبـره بـأن هـذه العمليـة سـتكون شـرارة لمشـروع متكامـل الأركان يحمـل آمال شـعبنا الأبـي ويلبـي طموحـه.

على أتم الجهوزية

كان الوقـت يمـر علـى الشـهيد علـي ببـطء بالرغـم مـن ذلـك الصخـب الـذي يعيشـه، كان الشـغف مسـيطراً علـى حواسـه، يترقـب فـي كل حيـن خبـراً مـن الشـهيد القائـد، ولـم يكـن ترقبـاً خاويـاً بـل كان مصحوبـاً بجهوزيـة لتنفيذ أي أمـر مـن الشـهيد رضـا.

لـم يتأخـر ذلـك الأمـر كثيـراً، فالشـهيد القائـد أتـم كل شـيء علـى الـورق، وبـدأ بإكـمال ما بقـى مـن العـدّة والعتـاد، فـكان الأمـر هـذه المـرة هـو جلـب طائـرة مسـيرة «درون»، كان الشـهيد رضـا قـد اشـتراها سـلفاً وأودعهـا عنـد أحـد رفاقـه فـي منطقـة العوامية.

فلـم يتأخـر الشـهيد علـي، وذهـب مـن فـوره إلـى «العوامية» اللصيقـة بمنطقـة «صفـوى» حيـث مـكان سـكنه، ودونـما إبطـاء اسـتلم الطائـرة وقفـل راجعـاً إلـى بلدتـه «بنـي جمـرة».

ساحة الفداء

لقـد تزامنـت مرحلـة الإعـداد للعمليـة المرتقبـة مـع حدثيـن مهميـن،

حماقة النظام بسحب جنسية آية الله الشيخ عيسى احمد قاسم (حفظه الله) وهو الأمر الذي جعل من فناء منزل آية الله ميدان شهداء آخر، والحدث الآخر هو تحرر عدد من الأسرى بعملية بطولية من سجن الحوض الجاف.

كلا الحدثين كان لهما أثر مباشر على العملية فاحتشاد الآلاف حول منزل الفقيه جعل من الوضع الأمني مضطرباً في جميع الأنحاء، وعملية الأبطال في سجن الحوض الجاف قادت إلى التشديد بشكل مضاعف داخل السجن، ولهذين السببين انتاب الشهيد علي مسٌ من الارتياب حول إمكانية الإقدام على العملية فضلاً عن نجاحها، لم يدع الشهيد علي مجالاً لأن تتمكن منه الريبة أكثر، فبادر بالحديث عما يخالجه للشهيد القائد، ومن المحادثة الأولى بينهم اطمأن بالُ الشهيد علي، فالشهيد القائد كان يرى ببصيرته النافذة وإيمانه الصلب أن تلك الأحداث من شأنها المساعدة على نجاح العملية لا العكس، فالشهيد رضا كان هكذا يرى الممكن في المستحيل، ويعيش الأمل في رحاب اليأس، ويصنع المعجزة دائماً.

استمرت الأيام في دورانها وكلما دارت دار معها السعي الحثيث خارج السجن وداخله إعداداً للعملية، فها قد بدت العناصر الأخرى التي ستشارك الشهيد علي في المهمة، كانوا موجودين من قبل ولكن أدوارهم للتو تقاربت وأدوار الشهيد علي، لذلك صار عليهم أن يتعارفوا، وكان أول أمر يصدره الشهيد القائد لهم جميعاً بعد تعارفهم أن يبتعدوا عن الميدان قدر المستطاع، فلا يجب أن تكون هناك شائبة أمنية تهددهم.

التزم الجميع وخزنوا حماسهم إلى الساعة المنتظرة إلا الشهيد علي

فلم يكن قادراً على صدّ اندفاعه نحو الدراز، فكان إما من المشاركين هناك، وإما ممن يشنون الهجمات من أطراف بلدته على القوات التي تحاصر الدراز.

كان يخاطر في كل مرة بنفسه، واعتاد كسر الحصار المفروض على بلدة آية الله الشيخ عيسى قاسم سيراً على الأقدام، هو وأحد صحبه المقربين، حتى إنه اعتُقل ذات مرة وهو يحاول المرور من ذلك الحصار، وأفرج عنه في نفس الليلة بعد توقيعه على تعهد بعدم إعادة الكرّة، وقد أخبر الشهيدُ علي الشهيدَ رضا بالذي يجعله مصراً على الحضور هناك، لقد أخبره بأنه لا يجازف بنفسه استهتاراً، وإنما كان يرى في نفسه وجوب المشاركة نصرةً للمذهب فاستهداف الفقيه كان إعلاناً لحرب وجود لابد له من أن يكون أحد محاربيها، وهذا ما كان يردده دائماً للشهيد رضا بأن تجمع الدراز هو الفرصة الأنسب لنقل الحراك إلى مراحل متقدمة ومقاومة مسلحة، وهو الأمر الذي أراد الشهيد القائد إيصاله إلى الشهيد عليّ حيث إن الشهيد رضا كان يرى أن العملية المرتقبة ليست منفكة عما يجري في الدراز؛ بل إن هناك ارتباطا وثيقا بينهما وهدفا مشتركا وهو ما فطن إليه الشهيد عليّ فقلل حضوره وظهوره، وصبّ جل تركيزه وطاقته فيما هو قادم.

مدد الزهراء عليها السلام

وصل الأمر إلى الأقسام الأخيرة، ولم يبق سوى القليل من الوقت عن العملية، ولكن لا زال هناك شيء أساسي ناقص، شيء لا يقدر على الإتيان به سوى الشهيد علي العرب، قطعتين من سلاح «الكلاشينكوف» كان قد أودعهما له الشهيد القائد عند صديقه الذي أودع عنده طائرة «الدرون»

من قبل في بلدة العوامية، ولكن في هذه المرة الأمر مختلف، فالفشل في هذه المهمة من شأنه أن يفشل العملية، فبغض النظر عن قطعتي السلاح اللتين كلفتا الشهيد رضا الكثير من الجهد والمال، وأن توفير قطعتين غيرهما لن يكون بالأمر اليسير في تلك الفترة، فإنّ خسارة الشهيد عليّ في حال اعتقاله ستكون خسارة فادحة لا يمكن تعويضها، فهو ركن أساسي والعنصر الأهم بين منفذي العملية خاصة وأن أحوال الجسر لم تكن كما كانت فالأمن صار مشدداً أكثر، وصار هناك جهاز أشعة مخصص للسيارات يكشف كل قطعة فيها.

أخبر الشهيدُ القائد الشهيدَ علي بمكان السلاح، وطلب منه اختيار الوقت المناسب والإتيان به، وقد أوصاه بالوصايا التي كانت أساس النجاح في كل عملياته، أوصاه بالتوسل وإيكال الأمر للسيدة الزهراء عليها السلام، فتوكل الشهيد على الله وذهب لاستلام القطع، استلمها وقام بجمع لوازم التهريب وانطلق متوجهاً لباديته، سار متوكلاً ووصل إلى محيط الجسر، وكان يمر على محطاته بيُسر إلى أن وصل إلى المحطة الأخيرة؛ أي محطة التفتيش كان يتمتم بكلمات في كل محطة، ولكن في المحطة الأخيرة بدا واضحاً على شفتيه اسم فاطمة الزهراء عليها السلام، كان مستمراً في ذلك الذكر وعلامات اليقين مرتسمة على وجهه، وفي اللحظة التي وصل فيها إلى نقطة التفتيش نفخ في وجه الشرطي فكان لا يتوقع السند إلا من فاطمة عليها السلام، تركوا الشهيد يمر دونما تفتيش، مرّ بسلام وما أن حطت قدمه تراب بلدته واطمأن على سلامة القطع مد يده في جيبه وأخرج هاتفه وراسل الشهيد رضا.

- السلام عليكم أبو الحسن.
- وعليكم السلام أهلا أبو العرب.

- تمت المهمة بنجاح.

بقي خمسة أيام

استبشر الشهيد القائد بهذا الخبر، فجميع اللوازم باتت جاهزة، والمنفذون الذين سيقومون بتنفيذ العملية جميعهم على أتم الجهوزية، إذًا ماذا بقي؟

لم يبق شيء سوى تحديد الموعد الذي اقترب كثيراً، استمرت الأيام في المضي والكل في حالة ترقب وانتظار، وفي يومٍ كان يسبق العملية بضعة أيام كشف الستار الذي كان الجميع ينتظر سدوله.

جمع الشهيد القائد رضا منفذي الخارج الذين كان عددهم خمسة في المحادثة الجماعية على برنامج «التلغرام» وأخبرهم بعد مقدمة وجيزة: «لقد قمت بالاستخارة، تم تحديد موعد العملية»، سكت للحظة وأردف قائلاً: «عليكم بعمل اجتماع فيما بينكم، تقسمون الأدوار فيه، وتوزعون العدة عليكم كلٌّ حسب دوره»، «لم يبق من الوقت شيء، موعدنا فجر الأحد مع ذكرى استشهاد آية الله النمر بعد خمسة أيام».

قام أبطال المجموعة بالاجتماع في يوم الجمعة قبل موعد العملية بيومين، ولم يكن هناك عسر في توزيع المهام فالكل كان في جهوزيته التي تؤهله لأي دور يناط إليه، وتوزعت الأدوار، وقُسّم السلاح والأدوات وتفرقوا.

سأوصي

مرت تلك الساعات القليلة ببطء وكأنها عام .. صار الشهيد علي يهيم

في عالم آخر خاصة وقد علم أن الدور الذي أنيط إليه يحتاج إلى نفس شهادية وروح كربلائية. كان يحدث نفسه بحديث رسول الله ﷺ وهو على ناقته العضباء إلى علي عليه السلام وهم منقلبون عن غزوة ذات السلاسل:

«الغزاة إذا هموا بالغزو كتب الله لهم براءة من النار، فإذا تجهزوا لغزوهم باهى الله بهم الملائكة، فإذا ودعهم أهلوهم بكت عليهم الحيطان والبيوت ويخرجون من الذنوب ويُكتب لهم كل يوم عبادة ألف رجل يعبدون الله، وإذا صاروا بحضرة عدوهم انقطع علم أهل الدنيا عن ثواب الله إياهم، وإذا برزوا لعدوهم وأشرعت الأسنة وفوقت السهام وتقدّم الرجل إلى الرجل حفتهم الملائكة بأجنحتها يدعون الله بالنصر والتثبيت فينادي ناد: الجنة تحت ظلال السيوف».

إعداده الروحي لنفسه إعداد المقبل على الشهادة ..

كان يعيش التسليم، ويرمي ببصره إلى ما وراء العملية، ويرى ما لا يراه الغير، وقد أوصى أحد أصدقائه الذي كان متواجداً في الجمهورية الإسلامية حينها: «اذهب إلى حرم الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام وصل نيابة عني ركعتين».

طلب سيظهر أثره بعد حين، بعد عامين من ذلك اليوم.

كان الدور المناط للشهيد علي خطر جداً، ويعرّضه للاستشهاد بنسبة كبيرة، لذلك رأى في نفسه أن يوصي، فربما تكون هذه العملية هي آخر عمل له في هذه الدنيا، فاستغرق في تفكيره مطولاً وأدخل يده بحركة تلقائية في جيبه وأخرج هاتفه وبدأ بالحديث مع الشهيد رضا عمّا يخالجه، فطمأنه الشهيد القائد بأن العملية ستنجح لا محالة ببركة الزهراء عليها السلام، وأن هذا الشعور إنما هو ناتج عن الشغف والحماس، ولكي

يطمئن أكثر أعطاه إذناً غير مباشر بالتوصية .. وتمهل الشهيد علي.. كان يفكر في كتابة وصية، لكنه تراجع عن تفكيره وانتظر إلى ما قبل موعد العملية بيوم واحد، وقبل أن يصعد سيارته ويتوجه إلى أوال التي تنتظره بفارغ الصبر، خرج من غرفته وطرق باب غرفة والده واستأذنه للدخول، ودخل عليه وضمه مباشرة إلى صدره لمدة، فسيطرت ملامح الاستغراب على وجه أبيه، فأمسك يده وتمسّك بها بقوة، تلكأ لسان الشهيد حينها ولم يستطع أن يوصي بشيء غير الدعاء، وأوصى والده بالدعاء، وودعه فابتعد عن أبيه مقترباً من أمه التي كانت تجلس على كرسي والمصحف الشريف في حضنها ترتله بإخفات حزين، اقترب منها وضمها لصدره وأسرها في أذنها: «أماه إن دعاء الأم في حق ابنها مستجاب فلتخلصيني بدعوة في هذا اليوم».

توجه ناحية باب الغرفة وقال مودعاً: «في أمان الله»، وغادر المنزل تاركاً علامات التعجب الممزوج بالخوف على وجه والديه، إن من عادته التوديع في كل مرة ينوي فيها المغادرة، ولكن أسلوبه ونبرته هذه المرة يبعثان على القلق.

كان يشق طريقه من «صفوى» إلى بلدته الحبيبة «بني جمرة» وفي صدره خليط من المشاعر والأحاسيس، بقي مستمراً في المسير حتى استقرت به السيارة عند صاحبه - أقرب أصحابه - ركب معه السيارة، وصارا يتبادلان الحديث، وسكتا لبرهة.. فأخذ الشهيد نفسا عميقاً وقال لصاحبه: «سأصارحك بأمر خطير شريطة أن تكون حافظاً للسر»، اضطرب الصاحب من نبرة الشهيد، فبادر بسرعة: «قل ما الأمر؟» فرد الشهيد: «إنما سأخبرك بذلك لأني لا أضمن نفسي، وأريد أن أوصي أحداً وليس لي أقرب منك» .. صار قلب صاحب الشهيد ينبض بسرعة، وبدا على ملامحه الاضطراب، وقبل أن ينطلق بأي كلمة أردف الشهيد قائلاً:

«إنـي علـى تواصـل برضـا لـما يزيـد عـن العاميـن، وقـد أعـد عمليـة التحريـر وسـأكون أحـد منفـذي تلـك العمليـة». أخـذ نفسـاً وقبـل أن يقطـع صاحبـه صمتـه واصـل حديثـه: «سـتكون مجموعـة مسـتعدة للهجـوم علـى السـجن، فالعمليـة مزدوجـة مجموعـة مـن خـارج السـجن ومجموعـة مـن داخلـه».

قام صاحـب الشـهيد مـن مكانـه بطريقـة تـدل علـى اسـتنكاره وارتباكـه وبنبـرة مرتفعـة قليـلاً وقال: «مسـتحيل ليـس الأمـر كـما نتصـور»، سـكت قليـلاً وهـو يـروح ويجـيء وواصـل كلامـه: «لقـد كنـت أحـد المسـاجين فـي ذلـك السـجن، إنـه محصـن بشـدة، ويقـع فـي منطقـة نائيـة ليسـت نائيـة فقـط وعسـكرية وشـبه محظـورة».

أمسـك الشـهيد بيـد صاحبـه وأجلسـه بجانبـه وتبسـم فـي وجهـه وقال: **«هـوّن عليـك يـا أخـي فـإن الأمـر مـدروس بدقـة، ويكفـي أن يكـون رضـا الغسـرة هـو القائـم علـى الأمـر لتطمئـن».**

بقـي صاحبـه مصـراً علـى رأيـه بـأن هـذه العمليـة لا يمكـن لهـا النجـاح: «اسـمعني يـا علـي إن الدافـع وراء إصـراري هـو خوفـي عليـك، وإنـي أتحـدث معـك عـن مـكان عشـت فيـه وأعرفـه جيـداً».

لـم يكـن الشـهيد آخـذاً بعيـن الاعتبـار تثبيـط صاحبـه وإن كان ذلـك بدافـع القلـق والخـوف عليـه، فقـد كانـت شـعلة الحـماس والترقـب للعمليـة تتأجـج فـي صـدره، وما كان لشـيء أن يخمدهـا، كانـت قسـمات وجهـه تعابيـر جسـيمة تـدل علـى شـغفه للعمليـة، كان ذلـك واضحـاً فـي حديثـه لصاحبـه، فقـال لـه أخيـراً: **«إن أمـر العمليـة محسـوم ولـم أتراجـع عـن مشـاركتي فـي تنفيذهـا تحـت أي ظـرف كان، وإنـما أخبرتـك بذلـك لأنـي لا أضمـن عمـري، وأود أن أوصـي ولـم أجـد أقـرب منـك لأوصيـه».**

اقتنع صاحب الشهيد بأنه لن يستطيع ثني الشهيد عن قراره، فجلس وأعار سمعه للشهيد منصتاً إلى وصيته التي لم يشأ لها الله أن تظهر، فالشهيد علي بقي موجوداً بجسده الترابي من ذلك الحين لما يزيد عن العامين فكانت له وصية أخرى.

سويعات قليلة

كان الوقت حينها يقترب من الغروب، أخذ الشهيد بيد صاحبه وتوجها إلى المسجد، واتخذ الشهيد زاوية في أقصى المسجد وصار ينتظر الصلاة، صلاها جماعة ولكنه لم يبرح مكانه بعد الانتهاء، انتظر انصراف الجميع ليختلي بربه، ففي تلك الزاوية يناجي الله مناجاة لم يتضح مضمونها إلا بعد شهادته.

«اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وآلِهِ، وأَنْسِهِمْ عِنْدَ لِقَائِهِمُ الْعَدُوَّ ذِكْرَ دُنْيَاهُمُ الْخَدَّاعَةِ الْغَرُورِ، وامْحُ عَنْ قُلُوبِهِمْ خَطَرَاتِ الْمَالِ الْفَتُونِ، واجْعَلِ الْجَنَّةَ نُصْبَ أَعْيُنِهِمْ، ولَوِّحْ مِنْهَا لِأَبْصَارِهِمْ مَا أَعْدَدْتَ فِيهَا مِنْ مَسَاكِنِ الْخُلْدِ ومَنَازِلِ الْكَرَامَةِ والْحُورِ الْحِسَانِ والْأَنْهَارِ الْمُطَّرِدَةِ بِأَنْوَاعِ الْأَشْرِبَةِ والْأَشْجَارِ الْمُتَدَلِّيَةِ بِصُنُوفِ الثَّمَرِ حَتَّى لَا يَهُمَّ أَحَدٌ مِنْهُمْ بِالْإِدْبَارِ، ولَا يُحَدِّثَ نَفْسَهُ عَنْ قِرْنِهِ بِفِرَارٍ.

اللَّهُمَّ افْلُلْ بِذَلِكَ عَدُوَّهُمْ، واقْلِمْ عَنْهُمْ أَظْفَارَهُمْ، وفَرِّقْ بَيْنَهُمْ وبَيْنَ أَسْلِحَتِهِمْ، واخْلَعْ وَثَائِقَ أَفْئِدَتِهِمْ، وبَاعِدْ بَيْنَهُمْ وبَيْنَ أَزْوِدَتِهِمْ، وحَيِّزْهُمْ فِي سُبُلِهِمْ، وضَلِّلْهُمْ عَنْ وَجْهِهِمْ، واقْطَعْ عَنْهُمُ الْمَدَدَ، وانْقُصْ مِنْهُمُ الْعَدَدَ، وامْلَأْ أَفْئِدَتَهُمُ الرُّعْبَ، واقْبِضْ أَيْدِيَهُمْ عَنِ الْبَسْطِ، واخْزِمْ أَلْسِنَتَهُمْ عَنِ النُّطْقِ، وشَرِّدْ بِهِمْ مَنْ خَلْفَهُمْ».

فرغ من خلوته، فخرج من المسجد وتوجه مباشرة لصاحبه الذي

سـيدير العمليـة ليتفقـا علـى موعـد الانطـلاق فلـم يبـق مـن الوقـت إلا سـويعات قليلـة لتهـب العاصفـة التـي سـتقلب كيـان النظـام، وتزيـل النقـاب الـذي يسـتر الشـجاعة والكفـاءة التـي يتمتـع بهـا هـذا الشـعب.

إنهـا الواقعـة التـي سـتحيل أعيـن سـاكني القصـور فـي شـخوص وذهـول، وسـتقف لهـا البـلاد إجـلالاً علـى رجـل واحـدة، إنـه الحـدث الـذي سـيخلده تاريـخ المقاومـة بالخـط العريـض، وسـيقصّه الآبـاء كـما الأسـاطير فـي آذان أبنائهـم، جلـس معـه لبضـع دقائـق، اتفقـا فيهـا علـى موعـد ومـكان الانطـلاق وافتـرقا، كذلـك تـم الاتفـاق مـع باقـي أفـراد المجموعـة.

لقـد تـم الاتفـاق علـى أن يجتمعـوا جميعهـم فـي إحـدى القـرى القريبـة مـن السـجن .. فقـد ذهبـوا إلـى منـزل كان الشـهيد القائـد قـد اتفـق مـع أصحابـه مسـبقاً لاسـتقبال المجموعـة، كانـت السـاعة حينهـا تشـير إلـى الثامنـة مسـاءً، انطلـق الشـهيد مـع مديـر العمليـة متوجهيـن إلـى ذلـك المنـزل، ووافاهـما صاحباهـما هنـاك، دخلـوا المنـزل جميعهـم وقـد جهـزت لهـم غرفـة ليسـتريحوا فيهـا حتـى موعـد العمليـة بعـد فريضـة الصبـح.

يا لها من ليلة

انجلـى الليـل واقتـرب الوقـت مـن الفجـر، إنها سـاعات السـحر التـي يختلي فيهـا العشـاق بمعشـوقهم، ولكـن هـذه الليلـة مختلفـة، لم يـذق الشـهيد علي للنـوم طعـماً فيهـا سـوى لسـويعات قليلـة فـزع بعدهـا مـن فراشـه، وراح يمشـي بسـكينة نحـو الـماء، دخـل تحتـه ليشـرع فـي غسـل الشـهادة، كان يغتسـل وفـي خلـده تنتفـض تلـك الأمنيـة، كان علـى يقيـن بـأن هـذه آخـر ليلـة ليسـت كغيرهـا، إنهـا شـفا الشـهادة، كان يعلـم أنـه يقـف علـى أعتابهـا ولكـن قلقـه كان لا ينـال مـن فيضهـا.

كان يمرر كفه على ذلك الصدر النحيف ذو الأضلاع البارزة، كان يمسح صدراً حوى تحت أضلاعه قلباً نقياً طاهراً مغسولا بزمزم الرجاء ومعين الخوف من الله.

إنه القلب الذي سيكون مفتاح الإقدام المقدس الذي ستظل الشجاعة والنبل تنفخ في أوداجه ليتفطر يوماً، ويصعد من ذلك الانفطار عروجاً إلى حيث يجب أن يكون.

أتم غسله ليتخذ من زاوية الغرفة محراب مناجاة .. كان على يقين بأن غلبته في الجهاد الأصغر مرهوناً بانتصاره في ميدان نفسه .. ميدان الجهاد الأكبر.. يا لها من ليلة مهولة، ويا له من شعور مهيب، لقد امتزجت الحماسة والعرفان في تلك الليلة وليس من مذهب تهيم إليه الروح سوى وادي العشق .. إنها كربلاء .. إنه ليل العاشر .. أجل .. فليس يحاكي ذلك الليل سوى ليل العاشر.

هكذا قضى الشهيد عليّ تلك الليلة في تضرع ونحيب يدعو الله بالشهادة «إلهي وقتلاً في سبيلك فوفق لنا» تعلقت آماله .. آمال الشهادة كلها تعلقت على ذلك الفجر.

فجر التحرير

بزغ فجر الأول من يناير، إنها ذكرى استشهاد شهيد الفقهاء صوت الحق أبي ذر زمانه آية الله النمر. الشخصية التي كان لها الأثر البالغ على شخص الشهيد الذي ترعرع في أحضان القطيف الأبيّ، هناك حيث لا صوت يعلو على صوت الشهيد آية الله النمر.

بزغ ذلك الفجر آخذاً معه الشهيد علي إلى شريط من الذكريات

القريبة والبعيدة، كانت كلها متشابهة، كلها كانت صوتاً لأولئك الذين كان لهم بصمة واضحة في تكوين شخصية قريبة منهم دائماً، إنهم رجال الشهيد النمر الذين كبروا على أكفه، فاشتد عودهم في مواضع القتل، وكان دأبهم الأنس بسوح النزال، وصدروا يمطرون الحياة بعين كربلاء، لقد لازمهم وعاصرهم وشاركهم، وكان يراهم كيف يجرون حبال الموت الزؤام كما يجر من تمكّن منه الظمأ الدلو من قاع البئر، كانت صور تلكم الليوث ممزوجة بصوت فقيه الشهداء آية الله النمر تمر في ذهن الشهيد علي في تلك اللحظات في ذلك الفجر المنتظر حتى صار مرآة انعكس فيها كل ذلك الموقف العصيب.

بدء الحقيقة

اقترب الوقت من الأذان، فصار على الشهيد علي ورفاقه أن يتحركوا، يجب أن يكونوا قبل ارتفاع الأذان في النقطة المتفق عليها مسبقاً .. على مسافة ١٢٠٠ متراً في آخر الساحة ذات التعرجات الصخرية المقابلة للسجن.

تحركت المجموعة بسرعة لا تثير الشك، فأي حركة تجلب الريبة من شأنها أن تفشل العملية، وصلت المجموعة إلى النقطة، صاروا حينها في مقابلة بوابة السجن التي تتوسط سوراً شاهقاً يفوق ارتفاعه الاثني عشر متراً، وتستلقي على أعلاه بشكل أفقي أسطوانة ضخمة تمنع من يفكر في تسلقه الصعب جداً من تجاوزه، فهي كبيرة جداً وذات سطح أملس، ويضم ذلك السور في مسافة كل بضعة أمتار برجاً عاتياً أقل مسافة يمكن لمن فيه كشفها هي كيلومتر! غير أن ارتفاعها يجعل أي هدف يتحرك في محيطها واضحاً وصريحاً، ويمكن كشفه بل والقضاء عليه إن

تطلب الأمر مباشرة، إنه مكان ذو تحصين معقد وشديد، ويزداد شدة في كل يوم لما مر عليه من أحداث كثيرة، وأشهرها عمليات التحرير التي قام بها الشهيد رضا الغسرة سابقاً.

إن جميع تلك التحصينات الظاهرة في الخارج والتي تبان دون حاجة إلى تركيز من يلمح السجن لمجرد لمحة، كلها إلى جانب ملاصقة السجن إلى معسكر تدريبي خاص للشرطة، معسكر كبير جداً يحتوي على قسم لجهاز الأمن الوطني يتم فيه التحقيق في القضايا الخاصة بأمن الدولة، أي أن من يتواجد في ذلك القسم هم ضباط رفيعي المستوى!! تمركزوا على هيئة لا تثير الشك، فبقوا على مسافة ١٢٠٠ متراً فالأضواء الكاشفة المحاذية للأبراج كانت تمنعهم من الاقتراب أكثر.

كانت المهام قد وزعت سلفاً، وكلٌّ كان في أتم الاستعداد، فبمجرد أن تمركزوا قام أحدهم بتسيير طائرة الاستطلاع «الدرون» في عملية لم تكن سلسة كما يبدو، فالتنفيذ كان في ساحة مكشوفة، وفي منطقة عسكرية محظورة ومحصنة أشد التحصين، ولكن الطائرة ارتفعت في الجو لمسافة كيلومتر، وبدأت بالتصوير من أعلى السجن.

وفي تلك الأثناء صدح صوت رخيم: «بنداء يا فاطمة الزهراء عليها السلام بدأ التنفيذ على بركة الله»، إنه الصوت الذي كانوا ينتظرونه على أحر من الجمر، إنه دليلهم نحو غايتهم، صوت يبعث على الطمأنينة ويدفع بالإقدام في صدورهم ..

كان صوت الشهيد يعلن لهم عن بدء الحقيقة، وصلهم صوت القائد بعد أن أدى ورفاقه فريضة الصبح، وتجمعوا في الزنزانة المقرر الخروج منها، كانوا قد قطعوا سلفا إحدى القضبان الحديدية التي تسقف تلك الزنزانة، فخرجوا حينها من سقف الزنزانة إلى أعلى المبنى بزيهم الموحد

تباعاً خلف الشهيد القائد الذي كان على اتصال بفرقة الدعم في الخارج ليقود العملية من داخل السجن وخارجه، زحف الشهيد رضا ورفاقه على سطح المبني بطريقة لا يمكّن أبراج المراقبة من كشفهم، ونزلوا بعملية سلسة إلى أسفل المبنى ليكونوا حينها في قبال الجدار الذي اجتيازه كان آخر المحطات التي تفصلهم عن بوابة السجن.

وسل سيف الثأر

ترجل الشهيد علي من السيارة مع أحد رفاقه حيث بقي الآخران، لقد ترجل الشهيد علي ترجلاً غريباً، كان هنالك عزم فريد يتدفق من جنباته، كان كل شيء فيه يدل على أنه عاف دنياه، قسمات وجهه، حركات أعضائه، رمقات عينيه، وكأنما حطت رجله بكربلاء لم يكن منظره يقود إلى سوى النصر، إنها البصيرة والإيمان المحض وقوة اليقين كان تجسيداً لكل ذلك.

كان يخط رجليه في ذلك الميدان وشفتاه تمتزجان بتسابيح الانتصار، إن الهدف بوابة السجن، فمن هناك سيخرج الشهيد القائد رضا ورفاقه التسعة، وكان قنديلاً باختياره وإصراره يندفع إلى فم الحوت بألف عين، حوت في باطنه صفوةً من خيرة الشبان، هناك الشهيد القائد ورفاقه .. زمّ الشهيد علي كفيه على سلاحه وراح يمشي بخُيلاء الشهداء في ساحة جرداء مكشوفة لم تكن فيه ريبة ولا ارتباك ولا يبدو عليه قلق وكأنما أيقن من حينه بانهزام أعدائه.

كل ذلك بالرغم من أن الشهيد يمشي تحت أضواء كاشفة، إذ إنه في مرمى بنادق العدو يمشي في تلك الساحة الخالية وفي مقابله عدة أبراج مراقبة شاهقة يسكنها أفراد مسلحون غير بوابة السجن التي يقصدها

وهـي مملـوءة بالحـراس المسـلحين أيضـاً .. كان يخطـو بثبـات وقـد اجتـاز ما يقـارب ٦٠٠ متـراً؛ أي نصـف المسـافة التـي تفصـل السـيارة عـن السـجن.

كان ذلـك الجـدار العقبـة الأخيـرة التـي يجـب علـى الشـهيد رضـا ورفاقـه اجتيازهـا دون الحاجـة إلـى دعـم الخـارج، فاجتيـازه يقودهـم إلـى ممـر طويـل يفـوق طولـه الأربعمائـة متـر وفـي آخـره تكـون البوابـة، لقـد اجتـازوا جميـع الحواجـز، ولـم يبـق عليهـم سـوى هـذا الحاجـز الأخيـر الـذي هـم بحاجـة إلـى مسـاندة الشـهيد علـي العـرب لاجتيـازه، إنهـا البوابـة التـي تغـص بـما يفـوق الأربعيـن شـرطياً! إنـه عـدد ضخـم، فحـراس البوابـة الأصلييـن لا يتجـاوزون العشـرين وإنـما كانـوا بذلـك العـدد يحتشـدون فـي البوابـة لتصـادف موعـد العمليـة وقـت تبديـل النوبـة.

فيـما كان الشـهيد علـي يخـط طريقـه ماشـياً نحـو البوابـة إذا بصـوت مـن جهـازه اللاسـلكي « ارمِ» كان أمـراً برمـي أفـراد البوابـة مـن الشـهيد القائـد والشـهيد علـي حينهـا يحتـاج إلـى أن يجتـاز ستمائة متـر لتنفيـذ الأمـر! لقـد وصـل أمـر الرمـي للشـهيد علـي العـرب مـن الشـهيد رضـا فجـأة لحـدوث طارئ أثنـاء التنفيـذ داخـل السـجن، ففـي الأثنـاء التـي كانـت مجموعـة الداخـل تتسـلق الجـدار الأخيـر اكتشـفهم أحـد أبـراج المراقبـة، فـكان لـزاما علـى الشـهيد القائـد تـدارك الأمـر بسـرعة، كان لابـد مـن تأميـن البوابة قبـل أن يصل حراسـها خبـرٌ مـن شـرطي البـرج، فالمسـافة التـي تفصـل مجموعـة الداخـل عـن البوابـة كانـت طويلـة، وكذلـك المسـافة التـي تفصـل الشـهيد علـي عـن البوابـة، فركـض الشـهيد القائـد ورفاقـه بسـرعة، وكذلـك الشـهيد علـي ركـض بأقصـى سـرعته طيلـة تلـك المسـافة ليصـل إلـى البوابـة فـي أنسـب وقـت، تزامـن وصولـه مـع وصـول الشـهيد القائـد ورفاقـه علـى مقربـة مـن البوابـة مـن داخـل السـجن.

وقف الشهيد علي أمام البوابة على مسافة لا تتعدى السبعة أمتار! إنه انتحار صريح في العرف العسكري، فالمسافة جنونية إضافة إلى أنه كان عاري الصدر وليس له ساتر يحتمي به، كان هدفاً صريحاً لفوهات بنادق أولئك المرتزقة، ولكن ذلك لا يُشكّل مانعاً لمن لبس قلبه درعاً على صدره، وليس عقبة أمام من طلّق دنياه، فقد ثبت الشهيد علي قدمه ورفع سلاحه ووجّه صلية نحو السماء لتنبئهم .. وقد فعلت بأن ألقت الرعب في قلوبهم، فتزلزلت أقدامهم، ولاذ بالفرار أغلبهم، وصاح من بقي منهم: «البوابة سكروا البوابة»، فحاولوا ولكن كان في ذلك حتفهم، فالشهيد علي كان منتظراً لخروج الشهيد القائد ورفاقه من نفس البوابة، فما كان من الشهيد علي إلا تصويب رصاصة نحوهم مباشرةً ليترك عدداً منهم يقعون في جراحهم ويردي أحدهم صريعاً بينما هرب من بقي منهم إلى داخل السجن تاركين البوابة تحت سيطرة الشهيد علي الذي تسيّد الموقف طولاً وعرضاً وكأن الدار داره، كان يصول فيهم ولا كأنه في قعر دارهم! وفي حصنهم الحصين! كان رجال الشرطة يهربون من بأس الشهيد علي إلى داخل السجن في اتجاهات متفرقة إلا أحد المرتزقة الأردنيين فقد قادته رجلاه إلى حيث لا يشتهي، فقد انقاد إلى الممر الذي يقدم منه الشهيد رضا ورفاقه التسعة، تفاجأ ذلك المرتزق بالشهيد وصحبه، فقام برفع سلاحه الفردي بعد أن التصق به الشهيد القائد ووجهه مباشرة إلى صدر الشهيد رضا! كان موقفاً رهيباً ففوهة السلاح ملتصقة بصدر الشهيد؛ أي أن ضغطة زناد واحدة من شأنها أن تنهي كل شيء، توقفت عقارب الساعة لدى أفراد المجموعة فقادهم على حافة الشهادة ولكنه رضا، فكان منه ما لا يحدث إلا من مثله، لقد قام بحركة بديهية سريعة بإزاحة السلاح من صدره وتثبيت ذلك المرتزق في الحائط، لقد حصل ذلك في محض ثوان قليلة افترس بعدها رفاق

الشـهيد رضـا ذلـك المرتـزق إلـى أن تبقـى منهـم بطـل! بقـي ملتحـماً مـع ذلـك المرتـزق ليجـرده ذلـك السـلاح الـذي هُـدّدت بـه حيـاة قائـده.

تحرير داخل تحرير

صـار الشـهيد القائـد ورفاقـه يخرجـون مـن البوابـة واحـداً تلـو الآخـر، بينـما يقـف الشـهيد علـي موقـف التأميـن، كان يريـد الاطمئنـان علـى الجميـع، توجـه المحـررون جميعهـم جريـاً فـي السـاحة المكشـوفة التـي جـاء منهـا الشـهيد العـرب قاصديـن السـيارة التـي تبعـد عنهـم ما يزيـد عـن الكيلومتـر ما عـدا أحدهـم، أنـه ذلـك الـذي اشـتبك مـع المرتـزق ليجـرده مـن سـلاحه وقـد فعل، ولكـن المرتـزق أمسـك برجـل البطـل المحـرر فـما كان مـن ذلـك البطـل إلا جـره إلـى البوابـة حيـث يبسـط الشـهيد علـي سـيطرته، كان الشـهيد علـي يراقـب الوضـع لينتهـي ويلحـق برفاقـه إلـى السـيارة، وهـو فـي تلـك الوضعيـة ظهـر مـن خلـف الجـدار المتصـل بالبوابـة ذلـك البطـل الـذي يجـر المرتـزق. لقـد ميـز الشـهيد علـي ذلـك البطـل فهـو يعـرف زي المحرريـن الموحـد، لذلك راح يقتـرب مـن البطـل والمرتـزق بحـذر، كانـت آخـر مهامـه فقـد وصـل جميـع المحرريـن إلـى السـيارة ولـم يبـق سـوى هـذا المحـرر، اقتـرب الشـهيد علـي منهـما وقـد كانـا ملتحميـن فانتظـر إلـى أن صـار يفصـل عنهـما متـراً واحـداً فوجـه سـلاحه بحركـة سـريعة نحـو أقـدام المرتـزق ليتركـه جريحـاً ويحـرر آخـر رفاق الشـهيد رضـا الـذي لـم يخـب مسـعاه، واغتنـم سـلاح ذلـك المرتـزق.

أحجبة بين شهيدين

لقـد شـكلت العمليـة مفارقـة عجيبـة؛ لا بـل لـم تكـن مفارقـة، كانـت تخاطـرا بيـن أرواح شـهيدين يتناجيـان مناجـاة الوالهيـن، ويهيـئ كل للآخـر

أسباب العروج، كان سيل الرصاص المتناثر من زندي الشهيد علي في تلك الملحمة هي نفسها التراتيل التي ستدور على وقعها مركب الخلد، تراتيل أخرجت الشهيد رضا من السجن، سجن الدنيا لتأخذه نحو الأبدية، وخرج وهو ماضٍ بثبات في عروجه، كان يحلق وهو يدفع بالشهيد علي إلى حيثما كان هو، إلى المكان الذي في ظاهره حيطان وقضبان وقيود ومذلة سجن! ولكنه في حقيقته محراب للكمال، أنه طامورة ابن شاهك التي عرجت بالكاظم عليه السلام إلى ملكوت آبائه عليهم السلام، إنه جب كنعان؛ بل سجن زاويرا الذي أمر فيه يوسف عليه السلام بتبليغ رسالته.

رضا دفع بعلي إلى هناك ليجود بدمه ويبلغ بذلك الفيض رسالة «الحياة في الموت».

تخبط مرتبك

شق القائد السيارة نحو نقطة الأمان المتفق عليها مسبقاً، كان عليهم الحذر البالغ، فكل شيء كان يشير إلى أن ما بعد العملية لن يكون كما كان قبلها.

فما أن هدأ صخب الرصاص وانقشع غبار الحومة، حتى علا الصراخ حيث كان على قدر الوجع الذي آلم قلب النظام وأتباعه من سهام العملية المظفرة.

كانت قناة العبرية أول من ناح بتصريحٍ خاوٍ: «تنفيذ الحرس الثوري الإيراني عملية هجوم مسلح على السجن المركزي في البحرين أدت إلى هروب عشرة إرهابيين على رأسهم الإرهابي الكبير رضا الغسرة!!».

تصريح مستعجل لم يكن يهدف منه السبق الصحفي فحسب؛ بل

كان هدفه الرئيس تدارك الفضيحة، فإلصاق التهمة بالحرس الثوري سيجنبهم فضيحة أن من قام بتلك العملية البطولية هو شاب في الثالثة والعشرين من عمره بمفرده.

ولم يكن رأي الإعلام الرسمي مغايراً، فقد ألقى بتهم الخيانة على أفراد من وزارة الداخلية ليتجنب بذلك ذات الفضيحة، ولكن كل شيء كان قد انجلى، وبانت الحقيقة أن لأوالٍ رجالٌ أبطال، لهم من الشأن ما لرجال المحور المظفر.

كان عبقريها محمود

وصل القائد للسيارة بالمجموعة إلى النقطة المتفق عليها ليلتقط الجميع أنفاسهم ويأخذ كل منهم زاوية ويصلي فيها لله شكراً.

ومنذ الساعات الأولى عمد الشهيد القائد رضا إلى تأمين أماكن أخرى، فالخطة تقتضي ألا يكون الجميع في نفس المكان بل التفرق في أماكن مختلفة على هيئة مجموعات صغيرة.

فتفرقت المجموعات وقضت حكمة الله أن يجتمع الشهيد القائد رضا مع الشهيدين علي العرب ومحمود يحيى بمعية اثنين من أصحابهما.

لم يكن الشهيد محمود من بين المنفّذين، ولكن كان يتوجب عليه التخفي، ففي عشية ذلك اليوم قام النظام بعرض صورة المشتبه بهم في تنفيذ الهجوم على السجن وصور العشرة المحررين، نشر النظام أربع صور للمشتبه بهم في الهجوم من بينهم الشهيد محمود، بينما الشهيد علي العرب لم يكن بينهم! إنه أمر يبعث على الاستغراب لمن يخفي عليه دور الشهيد محمود في نجاح العملية المظفر، فقد كانت له يد

طولي في ذلك، كان أحد المنفذين الرئيسيين للعملية لما يتمتع به من كفاءة قتالية عالية وبراعة في استخدام السلاح، إضافة إلى شجاعته وإقدامه، وإنما حال ظرف طارئ دون المشاركة في آخر اللحظات؛ لذلك اقتصر دوره على الإدارة والتخطيط وإعداد العدة.

وهو أمرٌ ليس بالعابر؛ بل هو أساس لنجاح عملية من هذا النوع، كان آخر عمل قام به هو رسم خط السير الذي انسحبت عبره المجموعة، ولم يكتف بالتخطيط عن بعد؛ بل ذهب قبل يوم واحد من العملية ليمسح خط السير بنفسه، كان ذلك بالدرجة الأولى لتقدير المدة الزمنية التي ستحتاجها المجموعة للوصول إلى نقطة الأمان، أما ثاني الأشياء فهو اختياره لخط سير خال من الكاميرات الأمنية.

لم يرجع الشهيد محمود من تلك الجولة الاستطلاعية إلا بعدما وصل إلى بوابة السجن وعاينها وعاين عن كثب محيط السجن بالكامل، وضع بعد ذلك تصوراً افتراضياً للكيفية التي ستكون عليها العملية، كان تصوراً قريباً لما حصل، لقد طابق الواقع بنسبة تصل إلى تسعين في المائة.

قدماً .. قدماً

استقر الشهداء الثلاثة (رضا الغسرة .. علي العرب .. محمود يحيى) مع صاحبيهما في مخبأهم، كان مصير الجميع معلوماً بعدما نشر النظام صورا لهم ماعدا الشهيد علي عرب فقد كان معلقاً! ما من شيء يدل على أنه ملاحق، ولا شيء يثبت العكس، فما كان منه إلا أن يعمل بالاحتياط، فالاحتياط في مثل هذه الظروف يحال واجباً، كان لابد له أن يعتبر نفسه ملاحقاً كباقي المجموعة، فقد شجّعت عملية سيوف الثأر الشباب المقاوم وحفزتهم لانطلاقة جديدة، فبالرغم من الشلل الذي أصاب

شـوارع البلـدة بسـبب التفتيـش التـي لا تسـتثني أحـدا حتـى دوريـات الشـرطة ومركبـات الضبـاط! وبالرغـم مـن الطيـران المروحـي فـي أغلـب المناطـق علـى مـدار السـاعة، رغـم كل ذلـك كانـت العمليـات الجهاديـة تتوالـى فـي مختلـف المناطـق وبالخصـوص مـع شـياع خبـر نيـة النظـام بإعـدام شـهداء الفجـر، فابتـدأت أولـى العمليـات فـي بلـدة بنـي جمـرة فـي الليلـة التـي سـبقت فجـر الإعـدام كانـت اسـتهدافاً بسـلاح كلاشـنكوف لإحـدى الدوريـات المقابلـة للقريـة أدى إلـى هـلاك أحـد مرتزقتهـا كـما أعلنـت صفحـات الموالـين للنظام فـي مواقـع التواصـل مـع نشـر صـور للهالـك، إلا أن الداخليـة نفـت ذلـك بعـد سـاعة مـن العمليـة، وقالـت إن المرتـزق إصاباتـه بليغـة! توالـت مثـل تلـك العمليـات إلـى أن نفـذ الشـهيد المجاهـد أحمـد الملالـي عمليـة اغتيـال أحـد الضبـاط الصاعديـن فـي منطقـة البـلاد القديـم .. عمليـة زلزلـت أركان النظـام المهـزوم سـلفاً.

لا خيارين

كانـت الأيـام تـدور علـى أولئـك الفتيـة وهـم ما بيـن الحـذر الشـديد والمراقبـة الحثيثـة للأحـداث الجاريـة، كانـت الأحـداث تتسـارع برتـمٍ عالٍ جـداً، مـما جعلهـم يتريثـون فـي حـزم أمرهـم بيـن البقـاء أو الهجـرة، فخصوبـة الأرض وانـدفاع الشـعب نحـو العمـل المقـاوم كان يشـير عليهـم بالبقـاء، أما الوضـع الأمنـي الـذي كانـت الاسـتخبارات العالميـة لـدول الاسـتكبار مشـاركةً فيـه، فـكان يدعوهـم للهجـرة.

كان وضعـاً اسـتثنائياً بحـق، وتصـرفات النظـام فيـه لـم يكـن لهـا سـابقة، ربـما كانـت شـبيهة لتصـرفات فـي فتـرة السـلامة اللاوطنيـة إلا أنهـا فـي هـذه المـرة أعمـق ودون عشـوائية، بالرغـم مـن أنهـا طالـت الجميـع؛ حيـث اسـتباح

النظام قرى عديدة واعتقل من الشباب الكثير؛ بل طالت اعتقالاته حتى من يشتبه فيه من النساء! وكان من شدة تخبطه يحاصر القرى لعدة أيام، كان الوضع بوليسياً بامتياز، ولم تكن تقتصر اعتقالات المشتبه بهم على أقارب الشهيد القائد ورفاقه التسعة؛ بل طالت يد السلطة واعتقلت كل من له صلة بالشهيدين علي العرب ومحمود يحيى وباقي المنفذين.

لقد بقي عدد من أصحاب الشهيد علي المقربين في الأسر، وقد قيد إلى التحقيق إلى أن ألقي القبض على الشهيد بعد عناء.

كل ذلك كان متزامناً مع حصار قرية الدراز ومنزل الفقيه آية الله قاسم هناك حيث ينتظر الفدائيون غدر النظام في أي لحظة.

إن الشهيد رضا كان قد أعد لكلا الخيارين مشروعه الخاص، مشروع مقاومة ذا منهج رصين مستمر قد رسمه للداخل في حال قرروا البقاء، وآخر ضخم متكاملة أركانه قد رسمه بدقة بالغة وسيمضي فيه لو قرر الهجرة، بالرغم من ذلك إلا أن تلك الحيرة لم تدم طويلا فقد جاءت الشهيد القائد رضا دعوة خاصة مرسلة من رأس الهرم في المحور المظفر الشهيد قاسم سليماني، دعوة قد وجهت للشهيد رضا بعد إطلاع الحاج قاسم على تفاصيل العملية، ليعلن ضرورة اللقاء به بعدما صرح أن مستقبل المقاومة في أوال في كف ذلك الشاب العشريني بل ذهب أبعد من ذلك بقوله: «إن عقلية ذلك الشاب لا تصلح بأن تكون حكراً على بلده بل يجب أن تخدم المنطقة».

كان حافزاً قوياً للشهيد رضا، فمشروعه سينفع سنيناً إلى الأمام بسبب تلك الدعوة الاستثنائية، فلم يبق مجالاً للحيرة بين الخيارين، وليس هناك داعٍ لتأجيل مشروعه الكبير، صار كل شيء يدعوه للهجرة وللبدء في مشروعه الحلم، أما المشروع الآخر فسيندك تلقائياً في المشروع

الكبيـر.

ليتم ميقاته

عـزم الشـهيد القائـد علـى الهجـرة.. لقـد اختـار السـبيل المحمـدي للانطـلاق فـي مشـروعه الـذي تنامـى أساسـه مـع بدايـة الثـورة، اختـار هـذا السـبيل ليكـون مشـروع مقاومتـه كـما كانـت مقاومـة الإسـلام، وليعلـن أن همـه لا تحـدّه جغرافيـا بـل صـدره مملـوءٌ بهـمّ الإسـلام، ومشـروعه وإن خُـصّ بـأوال فـإن آفاقـه قـد امتـدت بعـرض الأمـة.

تقـرر أن يكـون المضـي علـى دفعـات ثـلاث، فالمجموعـة تضـم خمسـة عشـر فـرداً مـما يجعـل سـفرهم متعـذرا دفعـةً واحـدة.

فخرجـت الدفعـة الأولـى مكونـة مـن ثلاثـة أشـخاص قبـل أن يتـم الشـهر علـى تنفيـذ العمليـة، وصلـوا إلـى هنـاك، وبقـوا فـي انتظـار مجموعـة الشـهيد القائـد التـي كان مـن المقـرر أن تكـون ثانـي الدفعـات ولكنهـا تأخـرت قليـلاً، اختـار الشـهيد رضـا مـن رفاقـه مـن سـيكون فـي رحلتـه الأخيـرة، كان قـد اختـار الشـهيد محمـود وثلاثـة آخريـن مـن بيـن المجموعـة التـي كانـت معـه علـى أن يبقـى الشـهيد علـي العـرب وآخـر منتظريـن الدفعـة الأخيـرة كـي يرحلـوا معهـا.

فانتقـل الشـهيد القائـد مـع مـن اختـار إلـى المـكان الـذي سـينطلقون منـه فـي رحلتهـم، لقـد كان مكوثهـم فـي ذلـك المـكان قـد تقـرر ليـومٍ واحـد ينطلقـون بعـده فـي الرحلـة، لكـنّ القـدر كانـت لـه كلمـة أخـرى، فهنـاك حكمـة لله يجـب أن تُبلـغ.

كانـت سـوء أحـوال الطقـس هـي السـبب الظاهـر للتأجيـل، ولكـنْ هنـاك

شيء عميق تجاوز المادة لا يمكن لجوارحنا إدراكه ولا حتى أوهامنا، شيء ليست تهضمه أرواحنا إلا بعد انقضائه، ففي ذلك المكان جمعت كف القدر شهيدين لا بد من تلاقيهما في هذا العالم قبل أن يحلقا عالياً، إنهما الشهيد رضا والشهيد الملالي، اجتمعا لخمسة أيام دون معرفة سابقة ومن غير سابق ميعاد، ولكن كل من رآهما ظن أنهما على علاقة متينة تقدر بالسنين، تناجيا كثيراً، وجعلا من كل ساعة تمر عليهما عاماً كاملاً، فأودع الشهيد رضا في صدر الشهيد الملالي جعبة من الأسرار التي كان يقول عنها الشهيد الملالي أنها كانت كالسراج الذي ينير له دربه رغم عدم تصريحه بأي من تلك الأسرار إلا أن غاية الشهيد رضا بالشهيد الملالي كانت جليّة لكل من عاصر الشهيد الملالي بعد شهادة رضا الغسرة، لمشيئة الله باجتماعهما قدّر الله التأجيل، ولحكمة أخرى أعمق من ذلك، حكمة بين الشهيد وربه، فقد كان هناك ميقات يتوجب على رضا أن يتمه، إنها الأربعون ليلة التي قضاها موسى عليه السلام ليتم ميقات ربه هي نفسها التي كان على الشهيد رضا إتمامها ليخرّ صعقاً أمام تجلي جمال الله.

فانطلق في صبيحة اليوم الأربعين من تاريخ عملية التحرير المظفرة، انطلق مع من كان معه في رحلة العروج، كان مركب العشق يسير بثبات، يشق بصدره موج البحر منطلقاً نحو الأمام غير آبهٍ بما حوله ولا ما خلفه فوجهته السماء.

لديه المزيد

توهّم البعض أن الشهيد القائد أفرغ أقصى ما يملك في عملية سيوف الثأر التي كانت الانعطاف الأكبر في تاريخ الجهاد البحراني، لكنه يبقى

وهما، فالإبداع أبى إلا أن يكون ملازماً لذلك الفتى، فأبدع هذه المرة ولكن في أمر لن يستطيعه سواه، لقد أبدع في طريقة موته هذه المرة، فصنع ملحمته الخالدة في عرض البحر الذي خلق منه ميدان طفٍ استثنائي، غير الذي ألفه الناس، لا يعطف التاريخ فحسب بل ليصبح تاريخاً جديداً.

فأبدع بشهادته

بزغ فجر التاسع من فبراير، إنه تمام الميقات والموعد المنتظر، فانطلق الشهيد القائد مع صحبه وشقوا طريقهم نحو وجهتهم، كل شيء كان يسير كما هو مخطط له، فسار القارب لما يقارب الساعتين دونما عثرة، لم يكن الشهيد القائد ورفاقه بحاجة إلا لعشر دقائق حتى يجتاز قاربهم حدود العدو، فحدث ما كان الشهيد متأهباً له، إنه غدر أشباه الرجال الذين تزولوا بكامل قوتهم، وأحاطوا مدججين بمركب الشهيد رضا الذي لم يكن على ظهره سواه هو وقائد المركب الشهيد مصطفى.

لم يعبأ الشهيد البطل مصطفى بتلك الجيوش التي تلحقه فواصل شق طريقه وكأن شيئاً لم يكن، وصلته تهديدات العدو من مكبرات الصوت لكنه بقي ممسكاً بمقود المركب غير آبهٍ بشيء، كان حريصاً على إيصال الأمانة، واصل الشهيد مصطفى انطلاقته وعيناه ترمق السماء إلى أن أصابت رأسه رصاصة الغدر .. ليقف المركب ويبدأ الفصل الأخير في تلك الرحلة، لم ينتظر الشهيد القائد عندها أن يبدأ العدو الهجوم؛ بل أعار لله جمجمته والتفت إلى أعدائه بفوهة سلاحه وابتدأ العدو بهجومه، كان يرشقهم بصليات غضبه حتى أردى منهم من أردى (كما اعترف لاحقاً أزلام النظام)، واستمر في ذلك إلى أن تكالب الأعداء من كل جنب وصوب يرشقونه بكل رصاصٍ حمل عتادهم، لينقشع من أمام ناظريه السحاب

ويلقى بثغره الباسم معشوقه أبا عبدالله عليه السلام وأمه الزهراء عليها السلام. لقد ترجّل فارس البطولة عن ظهر جواده .. لقد ترجّل وهو ممسك بزناد المقاومة .. ليختزل في ذلك المشهد سيرة جهاده.

إنها الملحمة الأسطورية الخالدة حيث وقف الشهيد رضا كالطود في وجه ذلك الإعصار الزائف، في موقف الذي يهزأ بالموت، ليختار في النهاية حياته في الموت على موته في الحياة، فعرج لملكوته مضرّجا بدمه ليخلد ويخلد معه مشروعه الحلم.

أول الخيوط

كان الشهيد علي العرب وصاحبه يترقبون خبراً من الشهيد القائد، فآخر رسالة وصلتهم منه قبل الفجر في وقت السحر بينما كانوا قائمين بين يدي الله، ذكر لهم فيها بعض الوصايا كان أولها أن يقوموا بتغيير موقعهم بمجرد سماع أي خبر يبعث على الريبة لاستنفار العدو في منطقة سترة، وآخر وصاياه كانت طلب براءة الذمة عن لساني من الناس كل الناس.

كلماتٌ كان لها وقعٌ كبير على الشهيد وصاحبه، فكلمات الشهيد القائد كانت وكأنها لغزٌ محيّر، كان أسلوبه غريباً غير المعتاد، وكأنه يرمي إلى شيء تقصر عن فهمه العقول، شيء لا يستطيع التصريح به، فبقي الشهيد علي وصاحبه ينتظرون الخبر مع متابعتهم الأخبار أولاً بأول إلى أن جاءهم النبأ الفجيع.

«القبض على رضا الغسرة مع مجموعة من الإرهابيين في عرض البحر».

تحـرك الشـهيد علـي وصاحبـه مباشـرةً مـن مكانهـم، فانتقلـوا إلـى مـكانٍ آخـر بعـدما تخلصـوا مـن جهـاز التواصـل الوحيـد الـذي كان معهـم، وبقـوا فـي مكانهـم الجديـد دون أي أخبـار أو مسـتجدات عـما يجـري فـي الخـارج، كانـوا يريـدون التحـرك وفعـل أي شـيء ولكـن الخيـارات كانـت مغلقـة أمامهـم، فـلا وسـيلة تواصـل لديهـم ولا وسـيلة مواصـلات، كان خيارهـم الوحيـد البقـاء علـى وجـل فـي مكانهـم الجديـد الـذي ليـس فيـه سـواهما إلا امـرأة كبيـرة فـي العمـر إلـى أن وقـع آخـر ما كانـوا يتوقعونـه.

حصارٌ .. وقرار

طـوّق العـدو المنطقـة التـي كان يتواجـد فيهـا الشـهيد علـي وصاحبـه قبـل أن يطـوق بإحـكام المنـزل الـذي يتواجـدان فيـه، لـم يكـن أمـرا متوقعـا، ولكن خلـلا فـي التنظيـم الخـارج عـن إرادة الشـهيد علـي وصاحبـه أودى إلـى ذلـك.

كانـت أعـداد العـدو كبيـرة جـدا بـل كانـوا أنفسـهم القـوات التـي داهمـت مركـب الشـهيد القائـد، فلـم تكـن قـد مضـى علـى ملحمـة البحـر إلا بضـع سـويعات.

كان علـى الشـهيد علـي ومـن معـه أن يتخـذوا قرارهـما عـما يجـب فعلـه بسـرعة فالثانيـة فـي هـذه الأوضـاع تحسـب سـاعة، وأول ما قامـوا بفعلـه هـو انتقـال إلـى غرفـة تقـع فـي سـطح المنـزل وقبـل أن يلملـم صاحـب الشـهيد فكـره تأهـب الشـهيد علـي وجهـز نفسـه للمواجهـة بـما يمتلـكان مـن سـلاح، ولكـن صاحبـه رأى غيـر ذلـك عنـدما ألقـى نظـرة علـى كميـة قـوات الكمنـدوز الكبيـرة التـي تحيـط بالمنـزل، فقـام بصـرف الشـهيد عـن فكـرة المواجهـة حيـث كان يراهـا معركـة خاسـرة لا محالـة. ربـما كان قـرار صاحـب الشـهيد صائبـا فـي بعـض الأعـراف العسـكرية، ولكـن لا ريـب أن قـرار المواجهـة هـو

الأصوب في ذلك الظرف، لكنّ قرارا بطوليا مثل ذلك لم يكن ليتخذه إلا من حمل بين جانبيه روحاً استشهادية ترى النصر في القتل وتجد فيه اللذة، للذلك كان قرار الشهيد رضا في عرض البحر وقرار الشهيد علي لولا صرفه عنه صاحبه. إنها الفارقة التي توسّم بها الشهداء منذ ألف وأربعمائة سنة، فقد خلّد مثل هذه القرارات فتية الحسين عندما خاضوا الموت بكربلاء ليصنعوا بدمائهم نصرا لم يكن.. سيخلد أبدا إلى يوم يبعثون.

داهم العدو المنزل بطريقة تعكس حجم الألم والغل الذي خلفته عملية سيوف الثأر في قلوبهم، كانت أعدادهم كبيرة، وأسلوبهم وحشي؛ أسلوب يبعث على الرعب لمن يرى المشهد عن بعد، ولكن لمن عاش الموقف كان كل شيء يبرهن له على مدى الارتباك والخوف الذي يعيشه العدو الذي كان واضحا على قسمات وجوههم.

كانت المنافذ كلها قد أُغلقت في وجه الشهيد وصاحبه، فلم يكن أمامهم إلا اتخاذ القرار الأصعب قرار (السجن)، كان قرارا جريئا من الشهيد علي لا يقلّ جرأة في حقيقته من قرار المواجهة بالرغم من أنها تجربة جديدة عليه سيقتحمها للمرة الأولى من أوسع أبوابها وأعتاها؛ نظرا إلى القضايا التي سيحقّق بها معه.

فرحة آل أمية

استبشر ضابط جهاز الأمن الوطني، واستهلّت وجوههم فرحا ليصدهم الثمين.. كان الشهيد يسمعهم وهم يتبادلون التهاني في أجهزة اللاسلكي خاصتهم. لم يكن لدى الضباط استعدادا للصبر حتى يصلوا إلى معسكر التعذيب، فقد وقع بين أيديهم المشتبه الأول في كل القضايا التي أعقبت

عمليـة سـيوف الثـأر ولا سـيما تلـك التـي هلـك فيهـا أحـد ضباطهـم فـي منطقـة البـلاد القديـم، لذلـك شـرعوا معـه فـي التحقيـق مباشـرة.

إلى وكر التعذيب

لـم يكـن حينهـا نبـا استشـهاد الشـهيد القائـد قـد وصـل للشـهيد علـي، وإنـما كان ما يعلمـه أن مركـب الشـهيد القائـد قـد أُسـر فـي وسـط البحـر، لذلـك توهـم الضبـاط أنهـا وسـيلة الضغـط الأنجـح لاسـتلال الاعتـرافات مـن فـم الشـهيد العـرب، فأخبـروه بذلـك، وكان إخبارهـم إيـاه بلسـان أمـوي صـرف يظهـر الشـماتة.. فصـاروا يشـتمون الشـهيد علـي ويصيحـون فيـه بشـكل هسـتيري (ذبحنـاه.. ذبحنـه قائدكـم)، كانـوا يريـدون إضعافـه وانهـزام نفسـيته بتلـك الطريقـة، لكنهـم اخطـؤوا فقـد عقّـد ذلـك الخبـر عمليـة التحقيـق، فمثـل تلـك الأخبـار لا تزيـد مـن هـم كالشـهيد علـي إلا صلابـة.

فـما كان منهـم إلا الانطـلاق بسـرعة قصـوى إلـى معسـكر جهـاز الأمـن الوطنـي، فهنالـك سـيجدون الأسـاليب التـي سـتنفعهم فـي التحقيـق كـما يعتقـدون.

تحت سلطة الانتقام

لـم يكـن الشـهيد علـي طيلـة ذلـك الـدرب يفكـر فـي ما ينتظـره مـن تعذيـب، وإنـما كان سـارحا فـي نقـاء السـماء التـي احتضنـت لتوهـا أرواحـا طاهـرة.. لقـد حـازت أرواح صحبـه ما كان يمنـي النفـس بـه منـذ صبـاه وكأنـه كان يتمنـى لـو يعـود بـه الـزمان لسـاعة فيختـار المواجهـة علـى السـجن ليـس خـوفا مـن التعذيـب ولا تهكـما مـن القيـد والقضبـان وإنـما عشـقا فـي الشـهادة. وصـل الشـهيد علـي إلـى معسـكر التعذيـب بينـما كان فـي انتظـاره

أشـهر الجلاديـن والمعذبيـن، فاسـتقبلوه بحفـاوة وبالطريقـة التـي تليـق بـه، فلـم يلبـث لبضعـة دقائـق حتـى ينـزف وجهـه، وتتـورم متونـه، وتمـزق ثيابـه لا لنـزع اعتـرافات منـه بـل كان احتواشـهم بتلـك الوحشـية كلهـا لأنـه الشـهيد العـرب فقـط ! كان ذلـك المشـهد مـرآة تعكـس حجـم البطولـة التـي حفرهـا الشـهيد علـي فـي صخـرة الثـورة، وتُجلّـي مقـدار الألـم الـذي نـاب النظـام مـن تلـك البطولـة..كان ذلـك بدايـة لمسلسـل مـن التعذيـب الممنهـج الـذي سـيطول لـما يقـارب الشـهر.

تنهشه أنياب الجلادين

كان عـدد المعتقليـن حينهـا كبيـرا جـدا، فالقضايـا كانـت كثيـرة وقـد شـملت عـدة قـرى، لذلـك غصـت غـرف التعذيـب بالمعتقليـن.. إن مثـل هـذه الأمـور فـي مثـل تلـك المواقـف مـن شـأنها أن تكـون سـببا فـي التخفيـف علـى المعتقليـن، فكثـرة عـدد المعتقليـن يسـبب ضغطـا علـى المحققيـن والجلاديـن وكان ذلـك فعـلا. كانـت وطـأة التعذيـب علـى جميـع المعتقليـن أخـف مـما يتوقعونـه.. ولكـن كان هنـاك اسـتثناء لبطليـن اسـتثنائيين، فقـد أُعـدّت لجنـة تحقيـق خاصـة بهـما، تشـرف عليهـا أرفـع الرتـب، وترفـع تقاريرهـا إلـى مسـؤولي النظـام أولا بـأول علـى الرغـم مـن أن هذيـن البطليـن لـم يُسـمع لهـما صـوت قبـل ذلـك الحيـن إنهـما الشـهيدان أحمـد الملالـي وعلـي العرب، فقـد عمـلا بصمـت طيلـة مسيرتهما الجهاديـة ذات العمـر القصيـر والعطـاء الكبيـر، وهـا هـما اليـوم فـي أيـدي أشـرس الجلاديـن بعـد أن نسـبت لهـما عمليتـان ما مـر فـي تاريـخ بلادنـا الجهـادي عمليـات زلزلـت أركان النظـام المهـزوم مثلـما فعلـت تلـك العمليتـان. كان الوقـت يمـر ببـطء علـى الشـهيد علـي فتجربتـه فـي ذلـك المـكان هـي الأولـى، وما كان يتعـرض لـه حينهـا فاق ما سـمع عنـه.. فجـلاوزة النظـام ما كانـوا يتورعـون عـن فعـل أي شـيء، فتعذيـب

الشـهيد كان مضاعفـا؛ نصفـه لنـزع الاعتـرافات ونصفـه الآخـر تشـفيا وحقـدا. كان التعذيـب يشـرع مـع حلـول الظـلام ولا ينتهـي إلا بعـد منتصـف الليـل.. بضـع سـاعات تمـر الواحـدة منهـا كأنهـا سـنة علـى الشـهيد علـي العـرب. كانـوا يشـتمونه بألفـاظ تعكـس حقيقتهـم أثنـاء تحقيقهـم معـه، ويعرونـه مـن ملابسـه جميعهـا لا يبقـى عليـه مـن قـماش سـوى القطعـة التـي تعصـب عينيـه إلـى جانـب شـتى أنـواع التعذيـب. كان هنـاك أسـلوب عشـوائي؛ ضـرب مبـرح بـالأدوات الصلبـة، لكـم ورَكل. وآخـر ممنهـج فيـه الفيلقـة، والغـرق الوهمـي، والمنـع مـن النـوم، والصعـق بالكهربـاء، وأما أقسـاها فهـو النفسـيّ الـذي يصـل فيـه الأمـر إلـى التهديـد بالعـرض.

كان ذلـك الروتيـن القاسـي هـو ما يعيشـه الشـهيد علـي، كان مسلسـلا أهـون ما فيـه هـي السـاعات التـي يتركونـه فيهـا وحيـدا في زنزانـة انفراديـة وهو مقيـد اليديـن والرجليـن بسلاسـل ثقيلـة جـدا مقفولـة بإحـكام تعيـق حتـى الاسـتلقاء، سلسـلة تلتـف علـى الرجليـن فتلصقهـما ببعضهـا البعـض وتمتـد إلـى معصمـي اليديـن لتجعـل اليديـن ممتدتيـن إلـى مسـتوى الركبتيـن وهـما لصيقتـان؛ أي أن الظهـر يبقـى منحنيـا بالإجبـار طيلـة الوقـت. أما المشـي فهـو غيـر ممكـن، والانتقـال مـن مـكان إلـى آخـر يسـتلزم تزحيـف القدميـن اللتيـن تتـورمان وتتقرحـان إلـى حـد النزيـف مـن شـدة الاحتـكاك، وأما التفكيـر فـي النـوم أو مجـرد الاسـتلقاء فهـو عـذاب بحـد ذاتـه.

البشارة.. البشارة

كان ذلـك حـال الشـهيد العـرب لـما يقـارب الشـهر مـع بعـض الزيـادة أو النقصـان.

كان حـالا مريـرا يصعـب تحملـه، ولكـن الظاهـر أن الشـهيد كان يتلـذذ

فيه، ويرى عذابه قنطرة توصله إلى حيث مناه، فقد تلقى البشارة منذ اللحظات الأولى التي دخل فيها المعسكر.. كان يصيح فيه كل من يقابله من الجلاوزة: إعدام.. مصيرك مصير إلي عدمناهم قبلك، اعترفت لو ما اعترفت إعدام.

كانت البشارة تأتيه من جميع الرتب وليس الرفيع منها فقط، لذلك كانت الساعة تمر بطيئة عليه، لا للعذاب الذي يقاسيه فيها، وإنما شوقه للشهادة وحنينه لاعتناق معشوقه هو عذابه الحقيقي، فقد اعتقلوه وفي صدره تلتهب نيران الحسرة.. كان متحسرا على سبق أحبته له إلى ذلك العالم الملكوتي المقدس، كان ملازما لهم على الدوام يعيش ما يعيشون، ويعمل ما يعملون، فأول سؤال تبادر إلى ذهنه (لم اختارتهم دوني ؟!)(لم هم وأنا لا؟!). كان يتأوه تأوه العليل من تلك الحسرة وقد تركت في قلبه جرحا ماكان ليلتئم لولا أن ضمدته تلك البشارات.

كانت ساعات التعذيب والساعات التي يقضيها في زنزانته الانفرادية تمر عليه وهو في هيامه. كان جسده هناك وروحه في السماء، كان يعتزل الدنيا شيئاً فشيئاً، ويجرد نفسه من كل شيء يصله بها، وقد حدثت معه مفارقة تحكي الشعور الذي يسكن في خلده، لقد قاموا باقتلاع أحد أظافر رجله أثناء التعذيب، فربما كان آخر جزء في جسده يتشبث بالدنيا، لذلك اقتلعوه لكي لا يبقى بعده شيء. عاش في هيامه إلى أن حان موعد انتقاله إلى محطة أخرى من محطات تكامله الذي سيأخذه إلى حيث المنَى.

حفاوة الاستقبال

مضى من الزمن ما يقارب الشهر، لقد انتهي الجلادون من تحقيقهم

مـع الشـهيد علـي فجـاء القـرار بنقلـه إلـى التوقيـف.. لـم يكـن لوحـده؛ بـل قامـوا بنقلـه مـع مجموعـة انتهـوا مـن التحقيـق معهـم أيضـا. ضمـدوا عينيـه وأحكمـوا القيـد فـي يديـه ورجليـه، وأركبـوه فـي المركبـة التـي شـقت طريقهـا بسـرعة كبيـرة إلـى التوقيـف.

وصـل الشـهيد مـع مجموعـة مـن المعتقليـن إلـى توقيـف الحـوض الجـاف، كان جسـده فـي حالـة يرثـى لهـا منهـكا مـن هـول ما قاسـاه مـن التعذيـب، أنزلـوه ومـن معـه بعـد أن تجـاوزت المركبـة بوابـه التوقيـف الرئيسـية واسـتقرت بالقـرب مـن كبينـة خشـبية خُصصـت لتفتيـش المعتقليـن الجـدد قبـل إدخالهـم العنبـر. سـلّم الشـرطة التابعـون لجهـة التحقيقـات العهـدة والأوراق الخاصـة بالشـهيد علـي ومـن معـه إلـى شـرطة التوقيـف، ومضـوا ليبـدؤوا مـن اللحظـة التـي رُحّلـوا فيهـا مسلسـلا جديـدا. كان هنـاك حركـة غريبـة علـى غيـر العـادة، فمـن المعتـاد أن تقـوم شـرطة الاسـتقبال بتخليـص أوراق المعتقليـن الجـدد.. ولكـن فـي ذلـك اليـوم كان فـي الاسـتقبال مجموعة مـن ضبـاط ومسـؤولي إدارة التوقيـف ؟!أنزلـوا الشـهيد ومـن معـه مـن المركبـة، وقامـوا مباشـرة بعـزل الشـهيد علـي علـى انفـراد بعيـدا عـن باقـي المجموعـة، أزالـوا الضـماد مـن علـى عينيـه، وقامـوا باسـتبدال قيـده بقيـد خـاص بالتوقيـف، وأحـاط بـه عـدد مـن الحـراس، قام مسـؤولون بتخليـص أوراق المعتقليـن علـى عجالـة فقـد كانـوا يريـدون التفـرغ لاسـتقبال الشـهيد العـرب الاسـتقبال الـذي يليـق بـه، وبينـما كانـوا يمـررون المعتقليـن الجـدد مـر بينهـم ثلاثـة من أصـدقاء الشـهيد المقربيـن الذيـن كانـوا قـد اعتقلـوا لجـرم صداقتهـم بالشـهيد فقـط! فوقعـت عيـن الشـهيد فـي أعينهـم فابتسـموا فـي وجهـه، ولكنـه رد بابتسـامه خجولـة وطأطـأ رأسـه حيـاء منهـم: لأنهـم يقاسـون السـجن بسـببه.. انتهـى جميـع المعتقليـن، وانصرفـوا إلـى عنابرهـم التـي حددتهـا لهـم إدارة التوقيـف.. إنهـا اللحظـة التـي ينتظرهـا الضبـاط والمسـؤولون، فهـم الآخـرون

يـرون أن لهـم نصيبـا مـن تغذيـب الشـهيد، يـرون أن لهـم حـق التشـفي فـما صنعـه الشـهيد طـال الجميـع، وأثـره بلـغ مـدى بعيـدا اتسـعت رفقتـه البلـدان جميعـا، وأدخلـوا الشـهيد إلـى كبينـة التفتيـش التـي أصبحـت خاليـة.. انفـردوا بـه..

واحتوشـوه مـن كل جانـب، وصـاروا يضربونـه بوحشـيه تحكـي الغـل الـذي يسـكن داخلهـم.

اسـتمر ذلـك التعذيـب والضـرب العشـوائي المبـرح لذلـك الأسـد المكبـل مغلـول اليديـن والرجليـن وهـو فـي تـمام هدوئـه يقابـل وحشـيتهم الممزوجـة بالسـب والشـتم بابتسـامة صامتـة ألفهـا منـه كل عايشـوه فـي مثـل تلـك الظـروف خاصـة. كانـوا يعذبـون جسـدا نحيـلا زادتـه نحالـة وضعفـا فتـرات التعذيـب التـي مـرت عليـه حتـى بـات جلـدا علـى عظـم، ولكنهـم كانـوا يقابلـون روحـاً عتيّـة؛ روحـا كانـت تعيـش حالـة عكسـية كلـما عذبـوا جسـدها ازدادت صلابـة.

سجنه معراجه

بـدأ بدخـول الشـهيد علـي التوقيـف فصـل جديـد فـي حياتـه القصيـرة عمـرا والكثيـرة عطـاء، مرحلـة تدعـي السـجن.. الأسـر.. القيـود.. القضبـان.. التعذيـب.. ومهانـة السـجان.. إنـه المـكان الـذي لجـأ لـه الظـلام علـى مـر التاريـخ، الخـلاص مـن كل مـن يقـف فـي وجههـم إن لـم يتمكنـوا مـن قتلـه مباشـرة..

وهـو المـكان نفسـه الـذي اتخـذ منـه عظـماء عـدة محطـة الانطـلاق فـي مشـاريعهم الإلهيـة، هكـذا شـهد التاريـخ لنبـي الله يوسـف عليه السلام والمختـار الثقفـي رضـوان الله عليـه وغيرهـم مـن أصحـاب المشـاريع التـي شـكلت

منعطفات تاريخية عظيمة بقيت آثارها حتى اليوم، ولكن طموح الشهيد علي لم يقف عند ذلك الحد، فالأسر وحده غير كاف لمشروعه، وإنما مشروعه يحتاج إلى دم قانٍ يفيضه من قلبه، لذلك اختار سبيل مولاه الكاظم عليه السلام الذي اتخذ من طامورة ابن شاهك معراج خلود له ليخلّد بذلك مشروعه بل ويكون منهجا.

ملامح العنبر

ابتدأ الشهيد علي حياته الجديدة بابتسامته المعهودة.. لقد صنفته إدارة التوقيف على أكثر العنابر شدة من الناحية الأمنية، يقع العنبر في منتصف التوقيف، وتحيطه بقية العنابر، وتقع في قبالة بعد بوابة كبيرة إدارة التوقيف؛ أي أنه محاصر من كل جهة، ولا يوجد برج من الأبراج التي تحيط بسجن التوقيف إلا ويكشف العنبر، وهو عنبر طويل أفقيا عبارة عن ممر طويل فيه خمس عشرة زنزانة، كل زنزانة تقابل الأخرى، وفي نهاية ذلك الممر توجد بوابة صغيرة تنفذ بالمساجين إلى ساحة التشمس (الفنس)، إنها ساحة متوسطة المساحة تسقفها قضبان حديدية بإحكام.

لقد صنف الشهيد علي في عنبر ليس فيه سوى خمسة وعشرين بحرانيا، أما البقية فكلهم من الجالية الآسيوية، وبحسب هذا التقسيم يغلب في كل زنزانة عدد الآسيويين على عدد البحرانيين؛ أي أن عدد المعتقلين البحرانيين في كل زنزانة لا يفوق الثلاثة! وبحسب ذلك لا يلتقي المعتقلون مع بعضهم البعض إلا في فترة التشميس؛ حيث يتم إخراج كل ثلاث زنازين معا؛أي أنه في فترة التشميس الواحدة يجتمع تسعة بحرانيين كحد أقصى! أما الالتقاء بالبقية فيكون من خلف أبواب الزنازين عند مرور الذاهبين إلى ساحة التشميس في الممر الطويل.

دخل الشهيد إلى الزنزانة التي صنف عليها مبتسما، كانت ابتسامته حجابا يخفي ورائه آلاما وآلاما، فلم يكن في جسمه جزء سلم من التعذيب، حتى سمعه لم يسلم فقد فُقئت أذنه اليسرى، أما بقية جسمه فكان كالغصن الذابل، ولكنما كان يؤلمه أكثر فهو جرح قلبه، فمع رمشة كل عين كان يرى أمام ناظريه صور الشهداء؛ صورة للشهيد القائد وأخرى للشهيد محمود، فيعتصر في قلبه ألمان ألم الفقد والفراق، وألم الحسرة على الشهادة.

قفزة لابد منها

لم يمض سوى أسبوع واحد على الشهيد علي في التوقيف لكنه تأقلم مع الوضع وكأنه قد أَلِف أجواء السجن منذ سنين.. لقد ساعده قلة عدد المعتقلين البحرانيين في أن يتعرف على الجميع بسرعة، وقد ساعده تواضعه أيضا.. كان يعاني في أيامه الأولى من آلام حادة تعيق مشيه بل حتى جلوسه، ولكنه كان يتحمل على آلامه ويقوم من فراشه تكرارا لكل شخص يقف عند باب زنزانته للسلام عليه، فجميع من يخرج من الزنزانة في فترة التشميس يقف عند زنزانة الشهيد أثناء ذهابه إلى الساحة الخارجية (الفنس)، وكان ذلك شاقا على الشهيد، ولكنه كان يخفي ذلك بابتسامته. كان الشهيد إلى جانب تنمية علاقاته الاجتماعية حريصا على أن ينمي نفسه في الجوانب الأخرى، فبالرغم من أن الفترة التي كان يتواجد فيها الشهيد في التوقيف فترة خلا فيها التوقيف من أي مورد ثقافي والتشديد الأمني كان يحول دون استطاعة إقامة دروس أو مباحثات، فإن الشهيد كان يطلب من أحد الإخوة الذي يكتب مقالات ومواضيع باستمرار مستفيدا من خبرته ومن خلفيته الثقافية بأن يرسل إليه كل ما يكتبه وكل ما كتبه قبل وصول الشهيد معه.

أما الجانب الروحي فقد كان قوامه قيام الليل والوقوف بين يدي الله في جوف الظلام، فاللذة التي كانت تراوده أثناء مناجاته وهو متحمل على آلامه كانت لذة تسمو بروحه عاليا، كان يحلم بالشهادة، وذرف الدموع في تلك المواضع سبيل لذلك، كان واجبا عليه أن يتأوه تأوّه ومولاه أمير المؤمنين عليه السلام، ويصرخ في جُبِّ نفسه كما كان يفعل الإمام علي عليه السلام عندما كان يضع رأسه في بئر تلك البساتين البعيدة عن ضوضاء الدنيا.. فلا بد لمن تعلقت روحه بأرواح الشهداء أن يعيش الوحدة وتعتزل روحه هذا العالم بأسره، وهكذا كان الشهيد علي حتى آخر لحظة له في هذه الدنيا يعيش بين الناس بجسد روحه هائمة في العالم آخر حق أن أحد زملائه في التوقيف كان يمازحه يوما فقال له أثناء تبادلهما الأحاديث (انته أوردي من القطيف إذا طلعنا بنمر عليك هناك تعرّفنا على القطيف بالكابرس اللي عندك)، فرد عليه الشهيد وهو مبتسم بنبرة امتزجت فيها الثقة بالوله: (أنا مابطلع من السجن، أنا بروح لرضا ومحمود).

كان واثقا من استشهاده من فرط ما تعلقت روحه بأرواح من سبقوه.

والله بقتلك

كان التشديد الأمني على العنبر الذي يتواجد فيه الشهيد علي قاسيا جدا على الجميع، لكن كانت هناك خصوصية للشهيد العرب، فالتشديد عليه كان مضاعفا فقد كان تحت المراقبة على مدار الساعة من قبل الشرطة التي تتناوب في العنبر، فترفع التقارير عن يومية الشهيد لتصل إلى الإدارة مع نهاية كل يوم. أما شرطة الإدارة فكانت تكبس بدورها على زنزانة الشهيد بشكل يومي أيضا بحجة التفتيش عن الممنوعات، وبالرغم من ذاك كله لم يكن الشهيد ينطق ببنت شفة أمام كل تلك

الاستفزازات، فقد اتخذ قرارا منذ وطأت رجله ذلك المكان بأن لا يتحدث مع أي مرتزق حتى إنه كان يتألم بشدة في كل ليلة بسبب التهاب أذنه اليسرى التي فقئت أثناء تعذيبه لدرجة تمنعه النوم، لكنه اختار التلوي في فراشه على أن يطلب من المرتزقة أخذه إلى عيادة التوقيف.

لكن في أحد الأيام شذّ عن تلك القاعدة عندما خرج الشهيد عن صمته أمام أحد المرتزقة المغرورين الحاقدين، فقد كان ذلك المرتزق متماديا في مضايقاته للجميع وبأسلوبه الحقير في التعامل وبألفاظه النابية، وكانت حصة الشهيد من تصرفات ذلك المرتزق أكبر من غيره، وحصل في إحدى المرات التي وقف فيها المرتزق أمام زنزانة الشهيد ليبدأ في مضايقته اليومية أن بادره الشهيد بالتهديد والوعيد، فصرخ الشهيد في وجهه مهددا (والله بقتلك إذا انته رجال افتح الباب)، فارتعد ذلك المرتزق خوفاً وأدبر هارباً ليعود بعد ساعة إلى زملاء الشهيد يتوسلهم بأن يقنعوا الشهيد بالتراجع عن تهديده وأنه لن يتعرض لأي أحد من المعتقلين، وحصل أن تغيرت معاملة ذلك المرتزق مع الجميع ولم يتعرض منذ ذلك الموقف لأي معتقل.

نَفَسُه رساليّ

بقي الشهيد علي في التوقيف قرابة السنة يحكمها روتين متكرر ليس فيه جديد، ولكنه كان يجهد نفسه في أن يترك بصمته الخيرة في كل زاوية من ذلك المكان، بل كان نَفَسُه الهالي يترك أثره في قلب كل من يجالسه حتى المعتقلين السّنة والأجانب وكانه يسير بسيرة الشهيد القائد رضا الغسرة الذي كانت له بصمة في نفس كل من التقى به في سجناته المتكررة، وقد بدا ذلك واضعا في حكايات كل من اجتمع بالشهيد علي

في المعتقل، فمن لم يكن له قصة يحكيها عن الشهيد فقد كان له موقف معه.. لم يكن هناك سوى الخير ليُذكر عن الشهيد.. كان حسن الخلق مع الجميع، بشوش الوجه ودائم الابتسامة، كان مصداقاً للرحيمية التي يوصي بها القرآن بين المؤمنين فكيف لا يختم عمره بالشهادة من عاش بين الناس شهيدا؟!

النطق بالحكم

انقضت المدة التي قدرها الله للشهيد علي في التوقيف، كان آخر يوم فيها هو اليوم الأخير من شهر يناير للعام٢٠١٨م اليوم الذي نطقت المحكمة بالإعدام في حق الشهيد الملالي والعرب.

تهلل وجه الشهيد علي فرحا.. إنها أول طلائع البشرى التي أخبره بها جلاوزة أمن الدولة قبل سنه من ذلك الحين، لم تكن الأرض تسعه بعد سماع البشرى، كان يهيم في السماء مرددا في داخله (اقترب الموعد أيتها المعشوقة).

لم تغيب عن ناظريه صورة الشهيد رضا في ذلك اليوم، لقد توقد الشوق في داخله بشكل رهيب أخذه بعيدا عن الدنيا، كان يعيش اليقين بحسن الخاتمة.

خَطّ وصاياه

كان ذلك الخبر مفجعا لزملاء الشهيد، وخيمت أجواء الحزن على أهل العنبر، وعوضا عن أن يواسي المعتقلون الشهيد كان الشهيد هو المواسي لهم؛ يصبّرهم ويحدثهم عن الاستبشار الذي يعيشه وعن الفضل الذي مَنّ الله به عليه، وتمنى أن لو يكشف عنهم الغطاء ليرو حقيقة

ما يعيشه، وكيف أن السعادة التي غمرت حبيب بن مظاهر عندما بشره أمير المؤمنين عليه السلام بشهادته كانت نفس السعادة تغمره.. كان ذلك في فترات التشمس.. التقى بالجميع، وبالرغم من الاستبشار الذي كان يعيشه والفرحة التي كانت تغمره كان الحزن يدخل عليه شيئا فشيئا فالوداع مُرّ لا يطاق في جميع قوالبه، وليس من قلب لا يصعب عليه فراق الأحبة، كيف وإن كان الفراق أبديا؟! إنه شعور يخفى على الجميع إلا على من جربه.. شعور يترك في القلب حسرة وتوقا وشوقا إلى العالم الآخر على أمل اللقاء.

تلك المشاعر المختلطة جعلت الشهيد بعد فترات التشميس ورجوع الجميع إلى زنازينهم ينطوي منفردا في زاوية زنزانته، ويصفن متفكرا لقرابة الساعة قبل أن يمد يده ليلتقط دفتره الخاص ويبدأ في كتابة وصيته الخالدة التي ابتدأها بعد الصلاة على محمد وآل محمد والبسملة:

(من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا. إن لله رجالا إذا أرادوا أراد، رهبان بالليل ليوث بالنهار لو حملوا على الجبال لأزالوها..).

واسترسل إلى أن وصل إلى سابقة لم تكن في وصية أي شهيد سبقه من شهداء البلد، فهو أول شهيد يتحدث ويوصي بشهيد آخر في وصيته: (قال لي الشهيد القائد أخي وصديقي رضا الغسرة كونوا على العهد وقوّوا أنفسكم).

إلى أن ودع الجميع بوداع السيد الخميني قدس سره (بفؤاد هادئ وقلب مطمئن وروح مسرورة وضمير آمل بفضل الله أستأذن الشعب وأسافر نحو المقر الأبدي).

ليلتك سودة!!

ودع الشـهيد أصحابـه الـوداع الأخيـر قبـل أن يركـب بقيـده الثقيـل الممـدود مـن يديـه لرحيلـه إلـى الحافلـة التـي سـتنطلق فـي موكـب قوامـه قـوات التدخـل السـريع وقـوات الكمنـدوز آخـذة إيـاه إلـى المحطـة الأخيـرة فـي معراجـه سـجن جـو! إنـه نفسـه المـكان الـذي يسـيطر عليـه بمفـرده قبـل سـنة مـن ذلـك الحيـن ويحـرر الشـهيد القائـد رضـا ورفاقـه التسـعة.

كان الموكـب يشـق طريقـه نحـو سـجن جـو والشـهيد علـي يتبـادل أطـراف الحديـث مـع أصحابـه الذيـن سـيتم تسـليمهم إلـى سـجن جـو أيضـا، كانـوا يمازحونـه (تبـرز روحـك.. الله يعينـك علـى إلّـى ينتظـرك مـن ضـرب).

فيـرد عليهـم بابتسـامة عريضـة يتبعهـا بقولـه (ويـش يصيـر أزيـد مـن اللـي صـار؟! ما فـي أزيـد مـن المـوت)، واسـتمر الحديـث بينهـم، وكلٌّ يدلـي بدلـوه عـما يعرفـه عـن طبيعـة سـجن جـو، ومـدى اختلافـه عـن التوقيـف مـن حيـث النظـام، وتقسـيم المسـاجين فـي العنبـر، وعـن النظـام داخـل العنابـر نفسـها.

لـم يلبثـوا حتـى وصـل بهـم الموكـب إلـى سـجن جـو! فالموكـب كان يسـير بسـرعته القصـوى متجـاوزا جميـع إشـارات المـرور للضـرورة الأمنيـة فأغلـب المعتقليـن الموجوديـن فـي الموكـب وعلـى رأسـهم الشـهيد علـي مضافـون علـى لائحـة الإرهابييـن الأشـد خطـورة فـي تلـك الفتـرة.

توقفـت الحافلـة بعـد اجتيازهـا عـدة بوابـات تلـت البوابـة الرئيسـية عنـد مبنـى إدارة السـجن الـذي يتـم فيـه تسـجيل المسـاجين الجـدد، دخـل الشـهيد علـي وأصحابـه برفقـة عـدد مـن الشـرطة التابعـة للتوقيـف، فسـلّمت شـرطة التوقيـف أوراق المسـاجين إلـى إدارة سـجن جـو وغادروا.

كانـت إدارة السـجن مملـوءة بالشـرطة علـى غيـر العـادة، فالظاهـر أن

خبـر وصـول الشـهيد العـرب مـع الدفعـة الجديـدة قـد أشـيع فـي السـجن، وقـد اجتمـع هـذا الكـم الغفيـر مـن الشـرطة لاسـتقباله، ولكـن الغريـب أن كل الإجـراءات كانـت تسـير بشـكل طبيعـي. سـلّم المعتقلـون أماناتهـم، واسـتبدلوا ملابسـهم بالـزي الرسـمي للسـجن بعـد أن قامـوا بتصويرهـم وهـم يحملـون لوحـة كتبـت عليهـا أسـماؤهم وقضاياهـم ومُـدد أحكامهـم، وقبـل أن يُعدّوهـم للمغـادرة قامـوا بأخـذ بصماتهـم عبـر جهـاز يحفـظ البصـمات، وبعـد أن انتهـت جميـع الإجـراءات أركبوهـم مقيديـن إلـى حافلـة خاصـة بالسـجن، وخرجـوا بهـم عبـر بوابـة صغيـرة مـن نطـاق الإدارة ليدخلـوا إلـى وسـط السـجن بعـد أن سـارت بهـم الحافلـة لـما يقـارب الثـلاث دقائـق توقفـت بعدهـا أمام كبينـة خشـبية تشـبه تلـك التـي اسـتقبلوهم فيهـا عنـد دخولهـم للتوقيـف.

بـدأت الأمـور حينهـا تتضـح أكثـر عنـدما أنزلـوا الجميـع وأخبروهـم أنهـم سـيقومون بإجـراءات التفتيـش الروتينـي لأي مسـجون جديـد، فعـرف المعتقلـون أنهـم أمام كبينـة تفتيـش، وأن الإجـراء هـو ذاتـه الـذي كان فـي التوقيـف، ولكـن مثلـما كان هنـك اسـتثناء قبـل عام فـي التوقيـف فالاسـتثناء ذاتـه يحصـل اليـوم، فقـد كان هنـاك مجموعـة مـن الضبـاط برتـب مختلفـة مـع تلـك الشـرطة التـي تمـلأ الإدارة عنـد وصـول الشـهيد وأصحابـه قامـوا بعـزل الشـهيد عـن باقـي المعتقليـن الذيـن أكملـوا عمليـة تفتيشـهم بسـرعة، وصرفوهـم إلـى عنابرهـم كلٌّ حسـب تصنيفـه الـذي حددتـه لـه الإدارة، وانفـردوا بالشـهيد، وأدخلـوه إلـى داخـل كبينـة بعـدما انصـرف الجميـع، ومـن دون أيـة مقـدمات انهالـوا عليـه بالضـرب والـركل كلٌّ علـى حجـم الغـل الـذي فـي داخلـه، فأولئـك الذيـن زلزلـت أقدامهـم وماتـت أنفسـهم رعبـا مـن صليـل الشـهيد يـوم غـزا السـجن وحيـدا فـي عمليـة سـيوف الثـأر كان ضربهـم أشـد وأقسـى مـن الآخريـن، كانـت فرصتهـم السـانحة للتشـفي منـه وهـو مقيـد اليديـن والرجليـن.. اسـتمر تعذيبهـم لـه لـما يقـارب الثلـث سـاعة قبـل أن

يفتح باب الكبينة أحد الضباط ليتوقف الجميع عن التعذيب، ويتقدم هو بدوره بخطوات بطيئة نحو الشهيد الذي كان المعذِّبون يتفرقون من حوله فاسحين المجال للضابط.

وصل الضابط إلى الشهيد وظل يرمقه وهو ملقى على الأرض، وبعد نصف دقيقة من النظر إلى الجسد النحيل المغلول بتلك السلاسل الثقيلة نفث الضابط دخان سيجارته وقال: (ها العرب شلونك؟) فأجاب (الحمد الله في كل الأحوال)، فأردف الضابط: (ليلتك سودة وطويلة) ثم استدار إلى أحد وكلاء الشرطة المتواجدين هناك وقال له: (شيلوه ودوه مكانه باخلص شغلي وبتفرغ له).

ظن الشهيد علي حينها أن مسلسل التعذيب قد انتهى، ولكن في الحقيقة قد ابتدأ للتو، فالمكان الذي أمرهم الضابط بنقله إليه هو محبس انفرادي يعتبر الأقسى بين المحابس الانفرادية الموجودة في السجن!

أُدخل الشهيد علي إلى تلك الزنزانة ليبدأ نظام جديد من نوبات التعذيب؛ حيث تتفنن كل نوبة بنوع من التعذيب، فيتردد على الزنزانة أفراد النوبة على هيئة مجموعات يدخلون على الشهيد بين الحين والآخر إلى أن يحين موعد قدوم النوبة الأخرى لتبدأ مجموعتها بنفس العمل، وكان أقساها النوبات الليلية التي تمنع الشهيد من النوم، وتجبره على الوقوف حتى الفجر.. لم يكن الشهيد عليّ متأثرا مما يجري عليه فقد تذكر أمرا أخذ فكره بعيدا بعدما حطت رجلاه في الزنزانة الانفرادية.. راوده شعور غريب عند الوهلة الأولى، فأخذ يتمعن في أحد جدران وزوايا تلك الطامورة ليتيقن من أمر كان شاكا فيه.. إنها نفس الزنزانة التي عذب فيها الشهيد القائد رضا الغسرة بعد إحدى عمليات الحرير

التي قام بها أبقوه فيها لستة أشهر نقلوه بعدها إلى عنبر العزل الخاص بالمحكوم عليهم بالإعدام.

لقد فطن الشهيد علي حينها إلى أمر مهم جدا أن تلك الزنزانة هي نفسها بطن الحوت الذي كان الشهيد رضا يتكامل فيه ويسبح في يونسياته (لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين) حتى استجاب له الله ونجاه من غم الدنيا بالخلود الأبدي ومجاورة الحسين عليه السلام، لقد رأى الشهيد علي لطف الله وعناية الحسين حينها.

فها هو الحوت قد اختاره وأودعه في بطنه ليسبّح تسبيحات العروج كما فعل مع الشهيد القائد من قبل، لذلك كان كل ماهو جار عليه من بلاء بردا وسلاما على قلبه، فهو على يقين بأن تلك البلاءات هي النافذة التي سيمر منها نحو غايته ومناه، ومنها ستمدّ معشوقته كفها لتجره معها نحو الأبدية.

مقبرة النور

لم يدم طويلا بقاء الشهداء في الزنزانة الانفرادية، فبعد قرابة الأسبوع تقرر نقله إلى عنبر العزل للمحكومين بالإعدام، فراح إلى الزنزانة الانفرادية كم غفير من الشرطة وفتح أحدهم الباب وصرخ في الشهيد بكلمة يمانية (يلا قم جانا أمر ننكلك من هني)، فقام الشهيد ببرود ولم ينطق بأي كلمة، ولم يكن يبالي أين سيأخذونه إذ أن روحه كانت معلقة بعالم آخر.

خرج الشهيد من الزنزانة ليركبوه مباشرة إلى حافلة صغيرة، وأجلسوه في وسطهم، وقاموا بإنزال رأسه لكي لا يعلم المكان الذي سيقاد إليه.. لم تتحرك به الحافلة طويلاً، كانت دقيقة واحدة تكفي لتقف بعدها

أمام مبنى وباب كبير، إنه المبنى الأقدم بين مباني السجن الكثيرة أسمته الإدارة مبنى الأمل ولكنها خصصته للأحكام الكبيرة جدا وأحكام الإعدام! والمفارقة الأعجب هي أنه ذات المبنى الذي تحرر منه الشهيد رضا ورفاقه التسعة! إنه مبنى مربع على شكل قوسين متقابلين تقع في وسطهما ساحة التشميس تقرر أن يكون الشهيد علي في القوس الأيسر المسمى عنبر شمال.

أنزلوه من الحافلة ثم أحاطوه من كل جانب، وأدخلوه بسرعة من مصراعي ذلك الباب الكبير، ومشوا به ممر قصير أوقفوه في نهايته أمام باب موصد بإحكام، وتفرقوا عنه صاروا كلهم خلفه إلا أحدهم وقف إلى جانب الشهيد لكي يفتح القفل الكبير الذي يوصد الباب، انتاب الشهيد حينها شعور رهيب أحس وكأنه يعرف هذا المكان جيدا، وما أن فتح الباب صار قلبه ينبض بسرعة واقشعر جسمه بأكمله وراح يتقدم إلى ما وراء ذلك الباب بخطوات مرتجفة لدقيقتين، إنه يعرف المكان جيداً.. فبضع خطوات إلى الأمام كانت كافية لتنطبع أمام ناظريه صورة الشهيد القائد رضا الغسرة.. صارت أحاديث الشهيد رضا وكمٌّ وفير من الصور التي كان يرسلها الشهيد علي تمر كشريط سريع داخل ذهنه وجعلته سارحا في عالم بعيد.. كان هيامه يحدثه باقتراب مناه وتحقق حلمه.. كان عبير الشهادة يفوح من تلك البقعة الصغيرة.

أوقظ الشهيد من ذلك الهيام عندما دفعه أحد المرتزقة من الخلف عدة مرات جعلته يتعثر بسبب سلاسل القيد التي تلف قدميه، كان يدفع الشهيد نحو الزنزانة التي صنف عليها، إنه عنبر يشبه الطامورة إلى حد كبير فيه خمس زنازين صغيرة جدا طول كل زنزانة لا يتعدى المترين وعرضها لا يفوق المتر والنصف، وقد صُنّف في كل زنزانة ثلاثة مساجين !وليس في العنبر بأكمله منفذ يتسلل منه ولو خيط رفيع من شعاع

الشـمس! هنـا يقبـر النـور وبقـماش الديجـور.

ليس الذي يعرفونه

أوقـف ذلـك المرتـزق الشـهيدَ أمام بـاب الزنزانـة التـي تقابـل بـاب العنبـر، وفتـح بـاب الزنزانـة قبـل أن ينحنـي مجبـرا علـى قدمـي الشـهيد ليفـك قيـده، أكمـل المرتـزق عمليـة إزالـة القيـد بامتعـاض شـديد ودفـع الشـهيد إلـى داخـل الزنزانـة التـي كان فيهـا اثنـان مـن زملائـه الجـدد، وأغلـق البـاب وهـو يثرثـر بكلـمات غيـر مفهومـة والتحـق برفاقـه الذيـن يملـؤون بوابـة العنبـر ورحلـوا جميعـا. بـدأ حينهـا فصـل جديـد فـي حيـاة الشـهيد داخـل السـجن مـع زملائـه الجـدد تربطهـم بـه مشـتركات عـدة؛ إذ كان بينهـم الشـهيد الملالـي الـذي صـدر فـي حقـه حكـم الإعـدام مـع الشـهيد علـي فـي ذات القضيـة غيـر أن الشـهيد الملالـي لـم تكـن لـه محطـة فـي سـجنه غيـر عنبـر الإعـدام؛ حيـث تـم نقلـه بعـد محنـة التحقيـق إلـى ذلـك العنبـر مباشـرة إضافـة إلـى أن جميـع معتقلـي الإعـدام كانـوا زمـلاء الشـهيد رضـا الغسـرة لسـنين عجـاف تقاسـموا فيهـا كل شـيء معـا.. كان زمـلاء الشـهيد علـي الجـدد علـى معرفـة مسـبقة بـه قبـل لقائـه، فقـد كان الشـهيد رضـا يحدثـه كثيـرا عنهـم بـل ويرسـل إليـه صورهـم وبعـض الفيديوهـات ذات المقاطـع الصغيـرة التـي تحكـي حياتهـم وبرامجهـم اليوميـة، وكذلـك الحالـة بالنسـبة لهـم فقـد سـمعوا الكثيـر عـن الشـهيد علـي؛ سـمعوا عـن خجلـه الشـديد وبشاشـة وجهـه الدائمـة إلـى جانـب شـجاعته وبطولتـه، وقـد رأوه فـي الصـور بضـع مـرات كان قـد نشـرها النظـام فـي إعلامـه الرسـمي بعـد عمليـة سـيوف الثـأر، ولكنهـم انصدمـوا وتسـمروا صامتيـن عنـدما أدخلـوه عليهـم، فقـد كانـوا يعلمـون أن الشـهيد نحيـل الجسـم، ولكـن لـم يتخيلـوا أن يـروه جلـدا علـى عظـم ووجهـه ناحـب إلـى هـذا الحـد.. كان جسـما منهـكا ملأتـه الكـدمات وكأنـه خرقـة باليـة.. يضعـف لحالـه حتـى

الحجـر الأصـم.

بل جنة

لـم يكـن الشـهيد ليجهـد فـي التأقلـم مـع وضعـه الجديـد فـكل المقدمات التـي يحتاجهـا مـن هـو فـي مثـل وضعـه للتأقلـم كان قـد تخطاهـا سـلفا، وقـد سـاعدته نفسـيات زملائـه العاليـة وروحهـم المرحـة فليسـت الدنيـا ومكارههـا بأهـون علـى أحـد أكثـر ممـن حكم عليـه بالمـوت فطلقهـا راضيـا وعـزف عنها رغبـة منـه.. كان برنامجهـم اليومـي مليئـا بذكـر الله، فيومهـم كان محطـات للـدعاء والتسـبيح والقـرآن، وحديـث لا يخلـوا مـن ذكـر الشـهداء.. لـم يكـن ذلـك برنامجـا غريبـا علـى الشـهيد علـي فقـد سـمع عنـه فـي أحاديـث الشـهيد رضـا وعاش جـزءا منـه فـي الفتـرة التـي كان فيهـا مـع الشـهيد القائـد رضـا بعـد عمليـة التحريـر. إن ذلـك المـكان الضيـق الصغيـر ذو العتمـة الشـديدة والقضبـان الكثيـرة والـذي فـي الظاهـر جحيـم يصعـب العيـش فيـه ماهـو فـي الحقيقـة إلا بقعـة مـن بقـاع الجنـة، وكيـف لا يكـون ذلـك وقـد اتخـذه الشـهداء محرابـا لعروجهـم ولا زال محـلا لأرواحهـم.

تغبطهم الملائكة

عاش الشـهيد فـي تلـك البقعـة المباركـة لـما يقـارب السـنة والنصـف.. كانـت فتـرة كفيلـة ليصعـد ما تبقـى مـن سـلالم المعـراج، فيقينـه بـات راسـخا باقتـراب الموعـد المنتظـر.

فـما كان إلا يومـيـن اندمـج الشـهيد بعدهـا فـي برنامـج زملائـه اليومـي الـذي يبدأونـه بقيـام الليـل، فـكل مـن كان فـي ذلـك العنبـر كان يتعامـل مـع صـلاة الليـل علـى أنهـا فـرض واجـب.. إنهـم يـرون صـلاة الليـل البـاب الكبيـر

لبلـوغ مناهـم.. فتراهـم قبـل أن يرتفـع أذان فريضـة الصبـح بسـاعة أو ما يزيـد علـى ذلـك بقليـل يصفّـون أقدامهـم كلٌّ فـي محرابـه (الهـي ماذا وجـد مـن فقـدك، وماذا فقـدَ مـن وجـدك، لقـد خسـر مـن رضـي دونـك بـدلا، وخـاب مـن بغـى عنـك متحـولا).

يقومـون ليلهـم حتـى ارتفـاع الأذان، فيقيمـون فرضهـم ويعقبّونـه إلـى أن يطلـع عليهـم الفجـر، كان تعقيبهـم جماعيـا ولكـن كلٌّ مـن وراء قضبـان زنزانتـه، فالأبـواب لا تفتـح إلا فـي أوقات التشـميس.. كانـت الأصـوات تصـدح من وراء الأبـواب لتختـرق الحجـب: (فـإن حـال بينـي وبينـه المـوت الـذي جعلتـه علـى عبـادك حتـما مقضيـا فأخرجنـي مـن قبـري مؤتـزرا كفني)(الهـي أتـرد ظمآنـاً ورد إلـى حياضـك شـاربا؟!) (اللهـم اجعلنـي مـن جنـدك فـإن جنـدك هـم الغالبـون). إنهـا عذوبـة يغبظهـم عليهـا الملائكـة فقـد خرجـت مـن أفئـدة لا تشـوبها مـن الدنيـا شـائبة، أما تعقيبـات الفرائـض الباقيـة فيعقبونهـا فـرادى ماعـدا ليالـي الجمعـة وليالـي الأربعـاء ففيهـا تُقـرأ أدعيـة مخصوصـة؛ دعاء التوسـل ودعاء كميـل ويتبعونهـما بزيـارة وارث. وهنـاك موعـد جماعـي آخـر وهـو آخـر سـاعة مـن النهـار يقـرأون فيهـا جـزءا مـن القـرآن وبعـض الأدعيـة القصـار، ويهدونهـا لأرواح الشـهداء الذيـن كانـوا يعيشـون معهـم. أما بُعدهـم الفـردي فـكلٌّ لديـه برنامجـه وأوراده الخاصـة، ولـم تكـن أبدانهـم غائبـة عـن برامجهـم اليوميـة فقـد كان لديهـم التماريـن السـويدية التـي يمارسـونها فـي زنازينهـم الضيقـة ورياضـة الجـري وكـرة القـدم التـي يمارسـونها فـي السـاحة الخارجيـة أوقات التشـميس، كـما أنهـم كانـوا دائمـي المـزاح مـع بعضهـم البعـض، ويتبادلـون الأحاديـث فيـما بينهـم وكلٌّ يسـعى لإدخـال السـرور علـى الآخـر، ولـم تكـن الأخبـار فـي البلـد والإقليـم والعالـم غائبـة عـن أحاديثهـم بـل كانـوا يتابعونهـا أولا بـأول (يعملـون لدنياهـم كأنهـم يعيشـون أبـدا ويعملـون لآخرتهـم كأنهـم يموتـون غـدا).

برنامج كان الشهيد علي يشاركهم فيه بروحه المرحة ووجهه البشوش وصوته العذب.. كان سببا لبهجة زملائه دائما، وكل ذلك رغم المضايقات التي تمارسها الإدارة مع الشهيدين علي العرب وأحمد الملالي والتي اسمرت في حقهما إلى حين ساعة تنفيذ حكم الإعدام

إعدام اللقاء

عاش الشهيد طيلة المدة التي قضاها في سجن جو مع تلك المجموعة المؤمنة الاستثنائية في ذلك العنبر الصغير، لم يكن يلتقي بأي أحد آخر، فحتى المساجين الذين يشاركونهم في نفس العنبر ولكن في عنابر أخرى لا يمكنهم الالتقاء بهم أو التواصل معهم. كانت الفرص القليلة التي تتاح أمام الشهيد لرؤية أناس آخرين غير الذين يشاركونه عنبر الإعدام هي عند خروجه للزيارة؛ حيث إن مبنى الزيارات هو مبنى واحد لجميع المساجين تُنظم فيه الزيارات بشكل دوري فتكون لكل سجين زيارة واحدة في الشهر، فيصادف أن يلتقي السجناء من مختلف العنابر في ذلك المبنى، ولكن هناك استثناء خاص للشهيد علي ففي العادة تكون هناك حافلة صغيرة تنتقل بين المباني لنقل السجناء إلى مبنى الزيارات، ويكون كل سجين مقيدا في يديه فقط، أما الشهيد فعند خروجه إلى الزيارة يكون معه شرطي يرافقه ويخرج مقيد اليدين والرجلين، وإحدى مهام الشرطي الشرطي المرافق له هي منعه من الحديث مع مساجين المباني الأخرى! لذلك لم يكن التقاؤه مع المساجين بمعنى الالتقاء وإنما هو سلام من بُعد، ويكون بأطراف العيون في أغلب الأوقات، ولكن هناك فرص قليلة أخرى تسمح له بالحديث مع المساجين الآخرين، إنها أوقات خروجه للمحاكمات والتي تكون في العادة بشكل دوري كل شهر أيضاً.

تخرج في كل يوم عدة حافلات خصصت لنقل المساجين إلى مبنى المحاكم في الثامنة؛ تخرج مصحوبة بعدد من سيارات الشرطة ذهابا وإيابا يقيدون فيها المساجين كما العادة في أيديهم، ومتى ما وصلت الحافلات إلى مبنى المحاكم يصطحب شرطة المحكمة المساجين إلى قاعات محاكماتهم، ولكن كما أن في كل شيء هناك معاملة خاصة للشهيد علي فحين خروجه إلى المحكمة تكون له معاملة خاصة أيضا، فهناك حافلة خاصة أكبر حجما من الأخريات فيها كبينان محكمان جيدا في كل كبينة ستة مقاعد خصصت الإدارة هذه الحافلة للمساجين الخطيرين والمشددين أمنيا، فينقل الشهيد علي حين موعد محاكمته في تلك الحافلة مع الشهيد أحمد الملالي، فيُعزلان في إحدى الكبينتين، ويكون في الكبينة الأخرى للحافلة ستة معتقلين أوأقل من المعتقلين المشددين أمنيا، فتسنح حينها للشهيد الملالي والعرب فرصة للحديث مع الآخرين، ولكن الحديث يكون من وراء الحاجز الحديدي الذي يفصل الكبينتين عن بعضهما، فيكون الحديث بلا لقاء وإنما بالسمع فقط! إلى جانب مضايقة الحراس الذين يرافقونهم، فإنهم يمنعونهم من الكلام ويوبخونهم عليه، ولكن الشهيدين كانا يسترقانه مستغلين الفرصة فقد لا تتكرر ثانية، والجيد في الأمر أنه في كل مرة يتغير المساجين الستة في الكبينة الأخرى، فتكون فرصة جديدة لتعرف الشهيدين على مساجين جدد، أما حين وصولهم لمبنى المحكمة فلا يبقى مجال ليتحدثا مع أحد فإنهما يحاطان بمجموعة من الضباط والشرطة لينقلوهما من الحافلة إلى قاعة المحكمة.

اسمه على السلاح

كانت تلك اللقاءات بسيطة ولكنها مصدر سرور للشهيدين

وللمساجين الذين يلتقونهم، وفي إحدى المرات حدث أن التقى الشهيد علي مع صاحبه الذي أُلقي القبض عليه، فسر الصاحب كثيرا إلا أن حاله انقلب بعد مدة وجيزة، ففي أثناء تبادله الحديث مع الشهيد أخبره الشهيد برؤية قد رآها قبل لقائهما بأيام، قليلة كانت الرؤية أن الشهيد علي رأى في منام أن الشهيد القائد رضا قد جاءه وفي كفه سلاح كلاشنكوف أسود اللون، عرف الشهيد علي مباشرة أنه السلاح نفسه الذي هجم به على السجن في عملية التحرير، كان الشهيد رضا مبتسما وهو يتقدم إلى الشهيد علي كما كان الشهيد علي لرؤية الشهيد رضا أيضا، وعندما وصل الشهيد رضا إليه جلسا جنبا إلى جنب ووضع الشهيد رضا السلاح في حضنه ليرى الشهيد علي أنه قد خط اسمه وأسماء شهداء آخرين على ظهر السلاح كان اسمه أولهم، وتسمّر صاحب الشهيد في مكانه وانخطف لونه بعد سماعه للرؤيا.. إنها إشارات الشهادة وعلامات الفراق.. كان للتو فرحا للقائه بالشهيد ولكن سماعه لتلك الرؤيا جعلته مرتبكا رغم الاستبشار والسعادة التي كان يتحسسها في نبرة الشهيد.

يعني..رضى الله

تعاقبت الأيام في دورانها بنفس المنوال.. كان منوالا ثابتا كما يبدو في ظاهره، ولكنه دوران كان في باطنه يسمو بروح الشهيد علي بنمط تصاعدي إلى أن أيّدت محكمة الاستئناف حكم الإعدام في حق الشهيدين الملالي والعرب، كان ذلك بعد سنة من صدور الحكم في نهاية شهر يناير لسنة ٢٠١٩م. حينها بدأ ذلك الدوران في التسارع، وبدأت مشاعر زملاء الشهيدين تأخذ منحنى آخر، فبالرغم من كون أحكام غالبيتهم مؤيدة من قبل محكمة الاستئناف إلا أنهم على علم بأن حكم الشهيدين هو الأقرب للتنفيذ وقد بان في تعاطيهم مع الشهيدين، فلم

يكـن الجـو صافيـا وإنـما اختلطـت بيـن جزئيـات مشـاعرهم القلقـة.. فتأييـد حكـم الشـهيدين جـاء بعـد أقـل مـن عاميـن مـن صدمتهـم بفقـدان شـهداء الفجـر الثلاثـة (سـامي،عباس،علي) والـذي زاد جـرح فقدانهـم غـزارة هـو استشـهاد رضـا الغسـرة بعدهـم بثلاثـة أسـابيع.. كان فقـدا عزيـزا أورثهـم الحزن والهـم.. جـرحٌ لـم يـزل فـي صدورهـم غائـرا لكـن لـم يـدم طويـلا ذلـك الجـو المشـحون، فتعامـل الشـهيدين مـع الوضـع وكأن شـيئا لـم يكـن سـاعد كثيـرا علـى رجـوع الأجـواء إلـى طبيعتهـا.. لـم يتغيـر فـي مشـاركتهما مـع زملائهـما شـيء، ولـم يخفـت توهـج روحيهـما، ولـم تفـارق البسـمة وجهيهـما.. كان كل شـيء كـما كان بـل وأفضـل مـما كان، فتأييـد حكـم الإعـدام يعنـي القبـول، يعنـي رضـى الله، يعنـي خطـوة جديـدة نحـو المُنـى. وكلهـا أشـياء تزيـد روحهـم بهجـة وما أضمرتـه النفـس ترجمـه السـلوك الخارجـي.

في الـ٦ من مايو

اسـتمرت الأيـام فـي تداولهـا وكل شـيء يسـير فـي فلـك دورانـه كـما هـو إلا ذهـاب الشـهيد علـي إلـى المحكمـة فقـد انقطـع، كانـت جلسـة تأييـد الحكـم الأخيـرة، ولـم تبـق بعدهـا إلا جلسـة واحـدة لا يعلـم وقتهـا، وكان فـي انتظارهـا علـى أحـر مـن الجمـر؛ إنهـا جلسـة تمييـز الحكـم الجلسـة التـي إنْ ثُبِـت فيهـا الحكم..ينتهـي كل شـيء ولا يبقـى سـوى تنفيـذ الحكـم..

لذلـك وإن كانـت الأمـور الخارجيـة تسـير فـي طبيعتهـا إلا أن الليالـي كانـت تمـر طويـلا علـى الشـهيد علـي يقضيهـا متقطعـا بشـفرات الشـوق وسـكاكين الحنيـن.. يظـل سـارحا بفكـره.. هائـما بروحـه.. لا يجـد الاسـتقرار علـى الأرض رغـم اتسـاعها.. إن الشـفافية التـي وصلـت لهـا روحـه الصافيـة لـم تعـد تطيـق البقـاء أكثـر.. تريـد مقرهـا الأبـدي واللحـاق بمـن صـدق عهـده وقضـى نحبـه.

بقي الشهيد يساير الأيام وينتحب في لياليها إلى أن رست به على شاطئ الأمل، عندما استيقظ صبيحة السادس من شهر مايو ٢٠١٩م، إنه موعد جلسة تمييز الحكم.

خرج الشهيد علي برفقة الشهيد الملالي من عنبر العزل، وكان في توقعهما أن الإجراءات ستكون طبيعية كما العادة، ولكنهما تفاجآ بالانتظار الكبير والتشديد الأمني المضاعف إضافة إلى أن الساحة كانت خالية من أي مسجون غيرهما؟! لقد قادوهما إلى حافلة المحكمة، وانطلقوا بهما إلى مبنى المحاكم في موكب خاص تحيط به سيارات الكمندوز، وتظلله طائرة الهليكوبتر.. وصل الموكب إلى المحكمة، وأنزلوهما واقتادوهما إلى قاعة محاكمة خالية هي الأخرى من أي مسجون! وأوقفوهما أمام منضدة عالية يتوسطها قاض تظهر في عينه الشماتة، كان يجلس على جنبه مستشاروه وكاتب، تنابسوا في ما بينهم ثم التفت القاضي إلى الشهيدين اللذين كانا يتمازحان فيما بينهما بابتسامات مشرقة، كان الشهيد علي يسأل الشهيد الملالي (ويش خوك، ويش تتوقع؟!)فيرد عليه الشهيد الملالي (ويش بعد، صار الصدق برز روحك) قالها وهو يمسح على صدر الشهيد علي.

ضرب بمطرقته المزينة على الطاولة ليلتفت إليه الشهيدان دون اكتراث فقد علما مصيرهما منذ زمن؛ بل كان جوهر دعائهما نيل هذا المصير، فابتسم في وجههما بابتسامة ساخرة ونطق بتثبيت حكم الإعدام في حقهما بنبرة ملؤها التشفي وتعكس حجم الحقد الذي يضمره اتجاههما، ولكن احتضان الشهيدين لبعضهما بعد سماعهما الحكم أذهب النشوة التي عاشها القاضي بسرعة.

وانجلى الغبار

قفل الموكب راجعا بالشهيدين إلى السجن، وما أن وصلا إلى عنبرهما حتى انهال عليهما أصحابهما بالأسئلة يريدون معرفة ما أسفرت عنه المحاكمة، فأجابا بنبرة ملؤها الرضى تخللتها ابتسامة عريضة: ويش تتوقعون يعني؟! ثبتوا الحكم وأردفا أوردي احنا رايحين بس چدي تغيير جو: ندري يثبتونه من البداية. قالوها بينما الشرطي يفتح زنزانتيهما ليدخلهما، فدخل كل منهما إلى زنزانته لينطلق في طوافه الأخير، دخل الشهيد علي إلى زنزانته وجدد وضوءه، وافترش مصلاه، ثم خر ساجدا (سبوح،قدوس،رب الملائكة والروح) قبل أن يقوم ليصلي فريضة الظهر التي دخل وقتها عندما كانوا في المحكمة، أتم فرضه وتعقيبه، ثم استدار إلى يمينه وأحنى رأسه مرخيا عينيه بالدموع.. كانت لديه مناجاة خاصة مع معشوقه خاص: (يا سيد الشهداء يا أبا عبد الله أشهد أنك تسمع وترى ولا يخفي عليك حال محبيك عادتكم الفضل وسجيتكم الإحسان سيدي تفضل علي بجوارك وتنفس على بعطفك ورضاك وقربك) ثم استدرك تلك الكلمات بزيارة عاشوراء :(السلام عليك يا أبا عبد الله) كانت تلك الزيارة هي انطلاقته في استعداداته الأخيرة، فالحسين عليه السلام هو ميناء انطلاقته في كل مفصل جدي في حياته.. واليوم قد بدأ المفصل الأهم في حياته، فقد انجلى الغبار عن الدرة المكنونة معشوقته المتعلقة في الأفق الفاصل بين السماء والأرض تلك التي أفنى ربيع عمره في السعي وراءها.

تأوّه

كانت الأيام تنقضي والليالي تتصرم ولم يزل الشهيد علي خائضا في بحر مياه يقلب مركب عشقه موج الشوق والتوق.. كان الحنين يعتصره

كلـما مـر عليـه يـوم جديـد دون إنبـاء بالرحيـل.. لقـد عمـل بـكل الأسـباب والمسـببات.. لـم يبـق سـوى القبـول.. لـم يبـق سـوى إذْن الذهـاب.. كان الهمـس بطـرق آذان قلبـه فـي كل حيـن: (حتـى متـى وإلـى متـى ؟! يـا الهـي وربـي وعليـك أمـري أما آن للحـزن أن ينقضـي ؟! حتـى متـى أبقـى فـي تأوّهي؟! ضـاق بـي يـا رب صـدري وقطـع الوَلَـه نيـاط قلبـي فخذنـي إليـك خذنـي إلـى حيـث الحسـين عليه السلام حيـث قبلـت مَـن قبلـي.. أحبائـي الذيـن تفضلـت عليهـم بجـواره عليه السلام).

هكـذا كانـت تمـر سـاعات الشـهيد.. انشـداد غريـب إلـى تلـك السـاحة المقدسـة كان ينتظرهـا الخـلاص.. الخـلاص الـذي يسـعى إليـه كل إنسـان بفطرتـه قـد وجـده هـو ولكنـه لا زال منتظـرا إذْن اللقـاء بـه.. ويـا لمـرارة الانتظـار ويـا لقسـاوته، وهـل مـن شـيء يصعـب علـى المـرء فـي حياتـه أكثـر مـن الانتظـار؟!.

هاليومين بتعرفون!!

أخـذ الانتظـار مـن جـروح الشـهيد التواقـة مأخـذه، كان يسـاير الأيـام دون تغيـر فـي تعاملـه الظاهـري شـيء، ولكنـه كان يُضمـر بيـن أضلاعـه هـم الوصـال والوصـول. بقـي الشـهيد فـي حالتـه تلـك إلـى أن مـرت قرابـة الشـهرين والنصـف مـن موعـد تثبيـت الحكـم إلـى صبـاح اسـتيقظ فيـه الشـهيد الملالـي وأمارات الفـرح تكـوّن وجهـه! لقـد اسـتيقظ مبتسـما وتوجّـه مباشـرة لحلاقـة شـعره بالكامـل!! قبـل أن يلقـي بنفسـه تحـت الـماء ليغتسـل ويخـرج إلـى صحبـه بابتسـامة أكثـر إشـراقا مـن ابتسـامته المعهـودة، فسـألوه عـن سـر مآبـه؟ فأجـاب (هاليومين بتعرفون)، قالهـا فتسـمر الشـهيد علـي فـي مكانـه وصـار قلبـه ينبـض بسـرعة، فأكمـل الشـهيد الملالـي حديثـه: (شـفت

رؤيا مستحيل ما تكون صادقة لأن قبل يومين شايف رؤيا تشبهها عدل)، فسألوه عنها، فقال لهم: (بدون تفاصيل الرؤيا الأولية شفت فيها أمير المؤمنين عليه السلام وفاطمة الزهراء عليها السلام وفي هالرؤيا شفت السيدة زينب عليها السلام وكلهم جايين يبشروني) فانهال عليه الجميع (يبشرونك بويش؟!) فأجابهم باسما (ماقدر أقول لكم أزيد من چدي)، كان الشهيد علي ينصت بجدية إلى كلام الشهيد الملالي، وربما انصرفت أذهان الجميع إلى أن البشرى هي الخلاص من السجن أو النجاة من تنفيذ حكم الإعدام إلا هو فقد فطن إلى شيء آخر.. كان يرى في عيني الشهيد الملالي بشرى الخلود.. لقد سكّن الشهيد الملالي شيئا من النار المتّقدة في جوفه.

تعابير مبهمة

مرت الساعات ولا زال الجميع يتساءل عن سر تلك الرؤيا إلى أن انقضى نهار الخميس الذي وافق الخامس والعشرين من شهر يوليو سنة ٢٠١٩م، إنها ليلة الجمعة كان الجميع في عنبر العزل يستعد لاستقبالها كما المعتاد كلٌّ في محرابه؛ هذا يقرأ دعاء، وهذا يتلو القرآن، وآخر منشغل بالتسبيح والصلاة على محمد وآل محمد عليهم السلام. حان موعد أذان المغرب، أدى كلٌّ فرضه وأكمل تعقيبه، وجاء وقت قراءة دعاء كميل. كان من المفترض أن يقرأه أحد زملاء الشهيد علي الذين يشاركونه الزنزانة، ولكن القدر اختار الشهيد لقراءته، وعندما حان وقت القراءة قال صاحب الشهيد له: (علي اقرأ الدعاء انته خوك)، فأجابه الشهيد بابتسامة، وتناول الدعاء واقترب من باب الزنزانة لكي يسمعه الجميع، وراح يصدح بصوته العذب (اللهم إني أسألك برحمتك التي وسعت كل شيء)، لقد قرأ الشهيد دعاء كميل مرارا منذ وصوله إلى عنبر العزل، ولكن قراءته كانت مختلفه في تلك الليلة، وقد لاحظ زملاؤه ذلك.. كان منقطعا عن الدنيا

بشكل ملحوظ وتعابير وجهه تنبّئ بشيء مبهم لا يقدر على تفسيره إلا أهل السماء، استمر في حالته تلك حتى نومه وإلى حين قيامه لصلاة الليل.. لو قُدر لأعضائه الكلام، لا زال كلامهم الإبهام الذي أصاب صحبه. كان لكل ذلك حكمة ستبلغها الساعات القادمة.

هناك زيارة

كان لتلك الحالة التي يعيشها الشهيد ارتباط بمدى بعيد يصل إلى (صفوى) حيث منزله، إنه ارتباط الدم، ففي نهار ذلك الخميس وصل اتصال لوالد الشهيد (السلام عليكم بكره في زيارة خاصة لعلي)، تجمد والد الشهيد في مكانه، إنه الوداع ولا تفسير آخر لهذه الزيارة سوى الوداع. اختلطت الأفكار في ذهنه واحتار فيما يفعل.. كيف عساه أن يخبر أم الشهيد بأن الغد هو يوم اللقاء الأخير؟! بقي متسمرا في حيرته برهة من الزمن، ولكن لطف الله أحاط به، فلم يضطر إلى الكلام كثيرا لقد فسرت أم الشهيد ملامحه وفطنت إلى أن خطأ ما يحدث، لذلك لم يحتج إلى مقدمات فوخزات قلبها تكفلت بذلك.

اقتربت منه وهي تتفرس في وجهه تنتظر منه كلمة، فسألته عن سبب انخطاف لونه؟ فأجابها مباشرة (اتصلوا اليي من شوي..باچر في زيارة خاصة لعلي)، لم تكن بحاجة إلى شرح أكثر.. كانت تلك الجملة كافية لتعلم أنها نبوءات الوداع، كانت عناية الزهراء عليها السلام لها واضحة، فقد استطاعت أن تحارب دمعتها وتكبت مشاعرها على قلبها.. شيء غيبيّ متصل بالعقيدة والصبر والرضى والقيم التي رسّختها زينب عليها السلام في ليلة الحادي عشر، لقد كان في قلبها زينب عليها السلام فهي محتاجة إلى كفها لتمسح على قلوب إخوة الشهيد قبل إخبارهم، فالخبر سيكون ثقيلا على

أنفسهم، فجميعهم مقربون من الشهيد؛ حيث إن أعمارهم متقاربة وهو الأوسط بينهم لقد خيّم الحزن على المنزل.. بات وكأنه مأتم.. كلٌّ قد لزم زاوية في غرفته وراح يقاسي حزنه وحيدا. أما أبوه فقد أسبغ وضوءه وصلى لله ركعتين أعقبهما بسجدة طويلة اختلط فيها الشكر بالدعاء، كان يدعو الله أن يلهمه كي يواسي ابنه ويشحذ همته، ويحدثه عن فضل الشهادة والخلود الأبدي، بينما كانت أمه تقلب بين يديها ملابسه تشمها وتمسح بها على صدرها ولكن دون بكاء! كانت تلك العناية الغيبية لا زالت ترعاها.. لم يتغلب عليها الحزن؛ بل كان شعور الفخر والرضى غالبا عليها.. كانت تردد في داخلها: (اللهم تقبل قرباني واحشرني به مع مولاتي فاطمة عليها السلام).

تراتيل أخيرة

انقضى الليل وأطلّ صباح جديد، إنه صباح الجمعة، وكم للجمعة من دلالات تقود إلى صاحبه عليه السلام حتى تجديد العهد فيه مختلف، ودموع الندبة في صباحه تمتزج بدموع الغبطة، فكل من ملأ قلبه حب الحجة عليه السلام تناله غبطة أصحابه المكتوبين سلفا.. كنوز الطالقان الذين طلقوا الدنيا ووهبوا أنفسهم منذ نشأتها إليه عليه السلام. كان وقت الخروج للتشميس عند الثامنة صباحا، في ذلك اليوم خرج الجميع دون أن يرتدوا أحذيتهم الرياضية، فقد جرت العادة على أن يكون الجمعة يوم راحة يقضون فيه وقت التشميس يتبادلون الأحاديث، فجلس جميعهم على عتبة تقع آخر الساحة، فمازح أحدهم الشهيد: (ويش عاللحية؟ حقويش هالقد؟خففها شوي)، فضحك الشهيد ورد عليه: (مانة مخففها ولا شي چدي أحسن)، قاطع حديث الشهيد أحد زملائه (شباب ويش القصة هالاستنفار واليوم جمعة؟)، فأجابه آخر (يمكن طوارئ مال الحج)، فرد

عليه آخر(لاخوك الحج ما يسوون طوارئ هكوا العام ماسووا شي)، إلى أن قاطع حديثهم انتهاء وقت التشميس، فرجع كل إلى زنزانته.

دخل الشهيد علي إلى زنزانته وتناول القرآن وانطوى في إحدى الزوايا وبدأ في التلاوة، بينما دخل زميله إلى دورة المياه ليغتسل غسل الجمعة بقي الشهيد على حاله إلى أن فرغ صاحبه، فدخل مكانه وألقى بنفسه تحت الماء ليغتسل غسلا ربما يكون الأخير.. لم تكن إلا دقائق حتى خرج الشهيد بعدها ليعيد تناول القرآن، ويعود إلى ذات الزاوية ويبدأ في التلاوة.. لقد استمر في التلاوة لما يزيد عن الساعة والنصف!!

فقال صاحبه في نفسه (علي يبي يختم القرآن اليوم شكله)، استمر الشهيد في تلاوته إلى أن بقي عن موعد أذان الظهر عشر دقائق، اقترب حينها إلى الباب وبدأ في قراءة سورة الجمعة كما هي عادته في كل جمعة.

راود بعض زملائه شعور غريب سبّبه لهم نبرة الشهيد وهو يتلو السورة.. لقد اقشعرت أبدانهم وهم ينظرون إليه من وراء قطبان زنزانتهم وكأنهم أحسوا بأمر ما متعلق بالإبهام الذي انتابهم في الليه الفائتة.

صدى سلاسل

بعد أن أدّى الجميع صلاة الظهر، وتناول كل غذاءه جلس جميعهم لمشاهدة التلفاز المنصوب في وسط الممر، كانوا يشاهدونه من وراء الأبواب، كانوا يتبادلون التعليقات على ما يشاهدونه بروح مرحة اختلط تفاعلهم بالدعابة والضحك، وكان أشدهم تفاعلا هو الشهيد أحمد الملالي، كانوا مستأنسين جميعهم، ولم يخطر ببال أحدهم أنها ستكون المرة الأخيرة التي سيشاركهم فيها الشهيدان الملالي والعرب، وأن ذلك

الجـو الحيـوي تفصلـه دقائـق معـدودة لينقلـب إلـى جـو يسـوده الحـزن. فـي قرابـة السـاعة الثانيـة ظهـرا فتحـت بوابـة العنبـر بعنـف، كانـوا عـدداً مـن الشـرطة ارتسـمت علـى وجوههـم عـلامات الشـماتة، سـاد الصمـت أرجـاء العنبـر، وصـارت ملامـح القلـق تتشـكل علـى وجـوه زمـلاء الشـهيد.. لـم تسـمع سـوى أصـوات سلاسـل كانـت فـي يـد أحـد الشـرطة، فتوجـه أحدهـم إلـى زنزانـة الشـهيد علـي وقال لـه وهـو ينظـر بعيـن متشـفية: (يـلا البـس (دريـس) السـجن)، لبـس الشـهيد الملالـي ثيـاب السـجن وخـرج مـن زنزانتـه بينـما خـرج الشـهيد علـي دون ارتدائـه! لقـد أحـث إطالـة الوقـت، فوقـف أمام بـاب الزنزانـة مـن الخـارج، ومـد يديـه بيـن القضبـان وطلـب مـن صاحبـه فـي الزنزانـة أن يعطيـه ثيـاب السـجن، كان الوقـت كأنـه خـارج الزمـن، توجـه الصاحـب إلـى صنـدوق الشـهيد وأخـرج الثيـاب ومـدّ يـده ليناولهـا الشـهيد، ولكـن عنـدما أراد الشـهيد أخذهـا ظـل صاحبـه ممسـكا بهـا! فبقيـت البدلـة معلقـة بيـن يـدي الاثنيـن.. كان صاحبـه ينظـر إلـى وجهـه بعيـن اغرورقـت بالدمـوع.. كان يـرى فـي وجـه الشـهيد ملامـح هجـرة بعيـدة، فاقتـرب منـه الشـهيد وهمـس فـي أذنـه (ويـش فيـك حجـي؟! لا تحاتـي ما بيصيـر إلا الخيـر اتـرك الدريـس)، قطـع تلـك المحـاورة أحـد الشـرطة: يـلا البـس سـريع الضبـاط ينتظـرون بـرة. وبمجـرد انتهـاء الشـهيد مـن ارتـداء بدلتـه قامـت الشـرطة بتقييدهـما وأخرجهـما بسـرعة مـن العنبـر. لقـد حرموهـما حتـى مـن توديـع أصحابهـما.

أخذوهـما إلـى خـارج المبنـى. بعـد أن أغلقـوا بـاب العنبـر لـم يكـن أصحابهـما يسـمعون سـوى صـدى السلاسـل والقيـود كل ذلـك جـرى فـي مجـرد ثـوانٍ معـدودة سـاد صمـت مهيـب بعدهـا أرجـاء العنبـر لمـدة طويلـة وبـدا ذلـك المـكان الآنـس وكأنـه مأتـم مريـر، فالجميـع كان مـدركا بـأن الشـهيدين قـد رحـلا إلـى الأبـد ولـن يعـودا مـرة أخـرى، ولكـن أحـدا لـم يكـن

ليجـرؤ علـى قـول ذلـك.

ساعة سماوية

كان فـي انتظـار الشـهيدين مجموعـة مـن الضبـاط أمام المبنـى، فـما أن رأوا الشـهيدين بـادر أحدهـم (اركبـوا البـاص عندكـم زيـارة خاصـة)، أيقنـا حينهـا أن ما يفصلهـما عـن الخلـود هـو القليـل مـن الوقـت. ركبـا الحافلـة التـي توقفـت بهـما بعـد دقيقتيـن أمام مبنـى الزيـارات، كان علـى أحدهـما أن ينتظـر لمـدة سـاعة، فليـس فـي مبنـى الزيـارات سـوى غرفـة واحـدة مخصصـة للزيـارات الخاصـة. جـاء أحـد الضبـاط وفتـح بـاب الحافلـة ونـادى الشـهيد الملالـي أولا ثـم أغلـق بـاب الحافلـة التـي بقـي فيهـا الشـهيد علـي وحيـدا مـع ثلاثـة مـن الشـرطة. اقتـادوا الشـهيد الملالـي إلـى غرفـة الزيـارة، كانـت المـرة الأولـى التـي يدخـل فيهـا إلـى تلـك الغرفـة، كانـت مربعيـة الشـكل متوسـطة الحجـم صُـف علـى ثلاثـة جـدران منهـا خمسـة عشـر كرسـيا علـى كل جـدار خمسـة كـراسٍ، بينـما كان كرسـي واحـد يتوسـط الجـدار الرابـع، دخـل الشـهيد أحمـد إلـى الغرفـة وقـد امتـلأت بذويـه: إخوتـه وأمـه وأبيـه وخالاتـه.. وقـف الجميـع بمجـرد أن أطـل عليهـم بابتسـامته المشـرفة، ورفعـوا أصواتهم جميعـا بالصلاة علـى محمـد وآل محمـد عليهم السلام، وراحـوا يحتضنونـه واحـدا تلـو الآخـر، ثـم جلـس بيـن أمـه وأبيـه وبـدأ يحدثهـم عـن فضـل الشـهادة ويواسـيهم ويصبرهـم! لقـد أدخـل علـى قلوبهـم الاطمئنـان، وسـكّن نفوسـهم.. كان بشوشـاً متفائـلاً متآنسـاً فـي وقـت يفصلـه عـن المـوت بضعـة أمتـار فقـط.

صـار ينتقـل بينهـم واحـداً واحـداً يحـدث هـذا ويـمازح ذالـك، ثـم جمعهـم فـي وسـط الغرفـة وتوجـه بهـم إلـى ناحيـة كربـلاء وبـدأ بالزيـارة، وأعقبوهـا بـدعاء الفـرج لصاحـب الـزمان عجل الله تعالى فرجه الشريف، بـدأ بعدهـا يوصيهـم بالتمسـك بأهـل

البيت بفاطمة عليها السلام وزينب عليها السلام وأبي الفضل عليه السلام، كان يقول لهم بانهم كانوا يرعونه دائما، ثم سحبته أمه إلى جنبها وضمته إلى صدرها وقبلته بين عينيه، وبقيت تنظر إليه وعلى وجهها ارتسمت ابتسامة فخر ورضى، ومن ثم مسحت على قلبه وهي تصلي على محمد وآل محمد عليهم السلام، وانحنت لتقبل موضع الرصاص. رجع الشهيد للتنقل ثانية يودع هذا ويوصي ذاك إلى أن استقر مرة أخرى بين والديه، جلس بينهما برهة من الزمن كان يودعهم الوداع الأخير، فلم يكن إلا دقائق فتح الباب بعدها: (يلا لو سمحتوا انتهى وقت الزيارة). نهضوا جميعهم والتفوا حوله يودعونه، فقالت أمه: (زفوا ولدي بالصلاة على محمد وآل محمد)، فارتفعت أصواتهم بالصلاة على محمد وآل محمد عاليا وراحوا يحتضنونه للمرة الأخيرة إلى أن بقي والداه فقط، فاحتضنهما معا وهو يقول: (أماه.. أبوي.. لا تحاتوني أنا للحسين عليه السلام وفاطمة الزهراء عليها السلام وأهل البيت عليهم السلام) ثم ابتعد عنهما قليلا وهو يبتسم في وجهيهما وقال (بالله في أمان الكريم). كان الزمن حينها متوقفا بالشهيد علي فقد أنزلوه من الحافلة وأبقوه مقيدا في غرفة الانتظار، كان طيلة ذلك الوقت غارقا في بحر الوصال.. تنقله أمواج الشوق وتستوقفه بين الحين والآخر صخور القلق.. كان قلقا على أهله.. محتارا في الطريقة التي يصبرهم بها، فهو سيذهب إلى حيث مُناه، أما هم فسيبقون رهائن حسرة الفقد ولوعة الفراق. انقطع ذلك الهيام بفتح أحد الشرطة باب الغرفة (يلا قوم زيارة)، نهض بنبض متسارع وخطواته بطيئة لم يرسم في ذهنه تخيلا واضحا عن الصورة التي سيكون عليها أهله، كان قلقاً من أن يكونوا جزعين، فصلى على النبي وآله ثلاث مرات قبل أن يخرج من الغرفة ورجع إلى طبيعته.. لقد وكل أمر أهله إلى آل البيت عليهم السلام وتوكل على الله. وفي الجانب الآخر كان أهل الشهيد ينتظرون في غرفة الزيارة دخوله عليهم بقلوب تسارع نبضها

أيضا، فإنها الساعة التي لم يتمناها فيهم أحد، فليس هناك من يطيق الفراق، ولكن صخرة الواقع كانت تجثم على صدورهم. دخل الشهيد عليهم وهو على حالته المعهودة تملأ وجهه ابتسامة مشرقة، فلم تمهله أمه حتى يتقدم خطوة بل همت مباشرة إليه بخطوات متسارعة واحتضنته بقوة وتبعها أبوه وإخوته، كانت ابتسامته تزداد إشراقا كلما احتضنه أحدهم.. كان كالمفرج عنه لم يكن حاله حال وداع. جلس الشهيد في وسط أهله وبدأ يحدثهم ويسألهم عن أحوالهم وجديد أخبارهم، أجابته أخته الكبرى: (ما عليك منا احنا كلنا أوكيه انته ويش أخبارك؟ويش نفسيتك؟ احنا كلنا منصدمين كأنا نحلم)، قالت جملتها بصوت متقطع خالطته دموع الحسرة ابتسم الشهيد في وجهها وبدأ مباشرة يحدثهم عن الشهادة وفضل الشهادة وفضل القتل في سبيل الله.. كان حديثه شبيها لشيء ذكره في وصيته عندما قال: (قرأت قصصا عن الشهداء أن الشهيد في وقت استشهاده لا يتألم؛ بالأحرى لا تكون الروح في الجسد، ويرى كيفية استشهاده، وأن جروح الشهيد تكون له نورا في الآخرة)، كان حديثه يبعث على الطمأنينة والراحة، لقد سكّن بكلامه تنبض قلوبهم المضطربة.

كانوا يحدقونه جميعهم بعين مليئة بالفخر، ولكنها مغروقة بالدموع، فشريط الذكريات كان يمر في أذهانهم، كانت هناك ذكرى مع كل حرف ينطقه، كانت أخواته متأثرات جدا تغلبهن الدموع كلما تذكّرن أنها المرة الأخيرة التي سيرينه فيها، وأن ما بفصلهم عن الوداع الأبدي هو محض ساعة، بينما حبس إخوته ذلك في صدورهم.. كان ذات الأمر يعتصر قلوبهم ولكنهم حافظوا على رباطة جأشهم لئلا يُضعفوا عزيمة أخيهم، كان أبوه متحيرا فيما سيحدثه به وكيف عساه أن يهيأه لرحلته القادمة وهجرته إلى الله وانتقاله من هذا العالم إلى العالم الآخر؟!

لكنه اندهش واطمأن قلبه عندما سمع منه غاية المعرفة وما هو أعمق بكثير من الكلام الذي كان سيقوله، لقد رأى في ابنه جبلا راسخا يجسد فيه اليقين والإيمان، كان يرى معنى الثبات ماثلا أمامه. اقترب الوالد من ولده ووضع كفه على رأسه، وصار يمسح عليه هنيئة هنيئة وقد اعترى قلبه حزن مرير وهو ينظر في عينه، فكل والد يتمنى أن يرى أولاده من حوله حين وفاته، وأن لا يحمل نعشه ويواريه في برزخه سواهم، ولكنه اليوم يمسح على رأس أحد أولاده وهو على علم بفراقه بعد ساعة.. كان الألم يذبحه مع كل مسحة. رفع الشهيد كف والده من على رأسه وقبلها ثم رفع رأسه وصار ينظر في عينيه لثوان بدت وكأنها ساعات طويلة فقال والده: (علي مو ندمان على اللي صار؟) كان يريد أن يزداد يقينا من ثبات ولده، فأجاب الشهيد وقد تهكم وجهه (ولا شوي ولو يرجع الزمن باسوي اللي سويته وأزيد)و استدرك حديثه (ابوي الفراق صعب بس أنا أدري عن روحي وينه رايح، ومن البداية أنا أعرف مصير ها الدرب ويش، والكل يتمنى لروحه حسن الخاتمة، وأنا الله مَنّ عَليّ بالشهادة يعني فاطمة الزهراء عليها السلام بتستقبلني عقب أول رصاصة، أنا رايح للحسين عليه السلام وأهل البيت عليهم السلام)، ثم التفت بوجهه إلى الناحية الأخرى ليرى الجميع منشدين إلى حديثه، فابتسم وأردف قائلا: (بشتاق إليكم واحد واحد، لكن بلتقي وياكم مرة ثانية ويا صاحب الزمان عجل الله تعالى فرجه الشريف يقيناً برجع ويا صاحب الزمان عجل الله تعالى فرجه الشريف فانتون عدوا روحكم من الحين عشان نجتمع كلنا في زمانه عجل الله تعالى فرجه الشريف) حل بالمكان لطف غيبي سيطر على الجو بأكمله، هناك من نزل من السماء ليمسح على قلوبهم.. لقد ارتفعت معنوياتهم جميعا.. كان ما يشعرون به هو شعور ينتابهم للمرة الأولى في حياتهم.. ملئت قلوبهم بالرضى دفعة واحدة، كان أثر كلام الشهيد واضحا على أنفسهم، لم تكن مفرداته غريبة ولكنها من فم السماء،

لـم يكـن ناطقـا مـن أهـل الأرض، فجميعهـم كانـوا يدركـون منـذ اللحظـة الأولـى للزيـارة أنهـم سـيتحدثون إلـى ميـت.. إنـه الموقـف الوحيـد الـذي يتحـدث فيـه أحيـاء إلـى ميـت مباشـرة. راح الشـهيد يتنقـل بينهـم يداعـب هـذا ويوصـي ذاك ويـودّع آخـر إلـى أن فتـح البـاب: (ودعـوا علـي.. الزيـارة بتخلـص عقـب شـوي)، فنهـض وتوجـه إلـى حيـث أمـه قبلهـا علـى رأسـها وجلـس إلـى جانبهـا يحدثهـا ويسـليها بالرغـم مـن أنهـا لـم تـذرف ولا دمعـة واحـدة منـذ بـدء الزيـارة، كان يوصيهـا فـي نفسـها وإخوتـه خيـرا، ويطلـب منهـا أن تطلـب مـن جميـع صحبـه فـي السـجن وخارجـه بـراءة الذمـة والسـماح. ضمتـه إلـى صدرهـا تشـمه وتمسـح علـى قلبـه وهـي تـردد بعـض الأذكار وتصلـي علـى محمـد وآل محمـد عليهم السلام، وتقـرأ بعـض الآيـات.. كانـت كربـلاء حاضـرة فـي قلبهـا، فاسـتحضرت فـي تلـك اللحظـات موقـف مولاتهـا ليلـى عنـدما أرادت وداع علـي الأكبـر، فطلبـت مـن الشـهيد أن يقـف ويمشـي أمامهـا.. كانـت تريـد التـزود مـن طولـه وجمالـه الـذي سـتحرم مـن رؤيتـه حتـى علـى المغتسـل.

خطـا الشـهيد بضـع خطـوات فاسـتثار ذلـك الموقـف مشـاعرهم جميعـا، وعنـدما لاحـظ ذلـك ابتسـم لهـم وقال: (مـو تصيحـون عليـي ليـن استشـهد.. سـوو لـي زفـة). قاطـع كلامـه دخـول الشـرطة ثانيـة (يـلا لـو سـمحتوا انتهـى وقـت الزيـارة)، نهـض الجميـع والتفـوا حولـه بلهفـة، وصـار كل منهـم يودّعـه الـوداع الأخيـر، وعنـدما انتهـى الجميـع تقـدم الشـهيد مـن بينهـم ووقـف أمام أمـه واحتضنهـا طويـلا، والتفـت إلـى والـده وفعـل مثـل ذلـك، ثـم قام بتقبيـل رأسـيهما وكفيهـما واحتضنهـما معـا وهـو يقـول (أماه أبـوي رضاكـم عليـي.. ما أمبـي الا رضاكـم)، أبعـده عنهـما صـوت فتـح البـاب، فعلـم أن كل شـيء انتهـى، وقبـل مغادرتـه انحنـى بكلـه علـى أقـدام أمـه يقبّلهـا وهـو يوصيهـا: (أماه ادعـي ليـي بالثبـات وقـت التنفيـذ)، إنـه الموقـف الوحيـد الـذي أنـزل مـن عينهـا ما كانـت تحبسـه منـذ بـدء الزيـارة، لكنهـا كفكفـت تلـك الدمـوع بسـرعة قبـل أن

تقوم لتضمه إلى صدرها للمرة الأخيرة.

العتبة الأخيرة

غادر الشهيد أهله إلى الأبد، وانتهى ذلك أصعب فصل مر عليه في حياته.. خرج فاستحضر مباشرة ذات الحديث الذي استحضره في الليلة التي سبقت عملية التحرير.. كان يتردد في أذنه مقطع منه وهو ينظر إلى أهله مجتمعين للمرة الأخيرة: (فإذا ودعهم أهلوهم بكت عليهم الحيطان والبيوت، ويخرجون من الذنوب، ويكتب لهم كل يوم عبادة ألف رجل يعبدون الله، وإذا صاروا بحضرة عدوهم انقطع علم أهل الدنيا من ثواب الله إياهم). لم ينته بعد من صعوده.. كانت تفصله عن نهاية معراجه درجة واحدة.. إنها مكان يعرفه جيدا زنزانة الانفرادي التي استقبلوه فيها.. تلك الزنزانة الضيقة المظلمة التي لا تحدّها زنزانة أخرى، وإنما هي زنزانة ألقاها مصمم السجن في منتصف السجن لوحدها لتكون موحشة.

قاده الشرطة إلى هناك.. دخل إليها قبل أن تغرب شمس الجمعة حيث كان النهار يشارف على الانتهاء، دخل الشهيد وبمجرد أن أغلق الشرطة الباب جثا على ركبته مستقبلا القبلة بتلك السلسلة الثقيلة التي تقيد يديه ورجليه، وشرع مباشرة في مناجاة يوسف فاطمة عليها السلام في نهاية نهار آخر جمعة له في هذا العالم.. كانت مناجاة تختلف عن الجمعات الفائتة، فبعدها لقاء محتم مع صاحب الزمان عجل الله تعالى فرجه الشريف، كان الشهيد يهيئ نفسه لذلك اللقاء الذي طال انتظاره، وقد استمر في ذلك إلى أن حان وقت أذان المغرب فاستدار ناحية الباب وطرق عدة طرقات مناديا الشرطة الحراس، فتقدم أحدهم وفتح فتحة صغيرة في

منتصف الباب تستخدم لإدخال الأكل، وسأل الشهيد عما يريد، فطلب منه الشهيد سجادة وتربة للصلاة ومصحفا. أخذ ذلك الشرطي إذنا من الضباط المناوبين وذهب إلى عنبر الشهيدين وطلب من زملائهما أن يجهزوا سجادة وتربة ومصحفا لكلا الشهيدين، فأعد الشباب بسرعة ما يطلبون وأعطوها إياه، وقفل الشرطي راجعا. استلم الشهيد علي تربته ومصحفه وسجادته بلهفة.. وضع المصحف على السرير البالي في زاوية الزنزانة، وافترش مصلاه، وبدأ في صلاته الكاظمية بسلاسله الثقيلة.. كانت صلاة مودع بحق.. اختلط ركوعها وسجودها بدموع غزيرة تحكي اللهفة والشوق للوصال في داخله وقد أعقبها بسجدة شكر طويلة لما مَنّ الله عليه من الفضل والقبول والشهادة.. كان يعيش حالة فريدة قد خصها الله لمن هم مثله من الشهداء فقط، فليس هناك من الشهداء من يدري بوقت شهادته إلا هم كان هناك مثلهم في التاريخ، ليس جميع التاريخ بل التاريخ نفسه الذي انطلقت منه قافلة العشق في ليلة العاشر من المحرم لسنة واحدة وستين عندما كشف الحسين عليه السلام الغطاء عن أعين صحبه، قرأوا مصارعهم ومنازلهم، فكانوا أول عصبة في التاريخ تعلم بموعد شهادتها وتسير لها طوعا.

كان يعيش ليلة العاشر بكل أواصره، فمناه أن يحشر مع أولئك العصبة.. فحتى بعد انتهائه من صلاته أخذ القرآن وراح يتلوه.. صار يرى في كل آية طفا.. فإن ذُكرت الجنة تراءى له معسكر الحسين عليه السلام، وإن ذكرت النار تمثل معسكر يزيد، وإن ذكرت عظمة الله ورحمته ولطفه توقف عن التلاوة برهة ليناجي الله ويحمده. بقي الشهيد على حاله إلى حين التاسعة ليلا، فتح عندها أحد الضباط الباب: (يلا جهز روحك بيطلعونك الحين)، وعقب عليه أحد الشرطة الذين كانوا معه: (إذا في شيء يبي يودي عزل جيب)، فأعطاه الشهيد سجادته والتربة والمصحف.

خلاص

في حدود الساعة التاسعة فتح ذاك الشرطي باب عنبر الإعدام، فالتفت زملاء الشهيدين جميعهم إليه، فرأوه يحمل في يديه أغراض الشهيدين، فقال أحدهم: (لوي مرجعينهم؟ خلهم عندهم إلى صلاة الصبح)، فأجابه الشرطي بهدوء متحرزا من ردات فعلهم: (خلاص الحين يودونهم)، كان معظمهم يتناول وجبة العشاء، ولكنهم بعد سماع ذلك الخبر امتنعت نفوسهم عن المواصلة، واتخذ كل منهم زاوية في زنزانته.. بعضهم يتلو القرآن، وبعضهم يدعو، وأحد منهم لم يكن قادرا على كتم ما في داخله من حزن.. جميعهم يعلم أنه الفراق الذي لابد منه ولكن الله فطر القلوب جميعا على عدم إطاقته.

فوهة الخلود

(فتكون الطعنة والضربة على الشهيد أحلى من شرب الماء البارد في اليوم الصائف، وإذا زال الشهيد من فرسه بطعنة أو بضربة لم يصل إلى الأرض حتى يبعث الله إليه زوجته من الحور العين فتبشره بما أعد الله له من كرامة، فإذا وصل إلى الأرض تقول له الأرض: مرحباً بالروح الطيب الذي خرج من البدن الطيب، أبشر فإن لك ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، وبقول الله تعالى: أنا خليفته في أهله مَن أرضاهم أرضاني، ومن أسخطهم فقد أسخطني)، هذا المقطع من حديث رسول الله ﷺ لأمير المؤمنين عليه السلام ما كان يتردد في ذهن الشهيد علي حين خروجه من الزنزانة الانفرادية. كان يمشي بين أعدائه بخيلاء طاووس، راميا بطرفه إلى السماء، تعلو وجهه ابتسامة نصر، أدخل بمنظره المهيبة في قلوب من يحطونه جميعا. وصل إلى مقر الإعدام فانزاحوا من حوله.. صار عليه أن يخطو عدة خطوات يقابل بعدها الفوهة

التي ستنقله لخلوده.. راح يمشي إلى مسلخ العشق بخطى ثابتة وهو يردد في خلده (رصاصة واحدة وألقى نفسي بين يدي الحسين عليه السلام .. تمسح على صدري الزهراء عليها السلام). التصق الشهيد بعتبة مسلخ العشق، فقال وهو يضع رجله اليمنى عليها (بسم الله وبالله وعلى ملة رسول الله)، ووضع رجله الثانية ونادى (يا علي)، ثم استدار ليقابل فوهة الخلود وهو يبتسم بذات الابتسامة التي ما فارقت وجهه يوما.. كان يحدق في تلك الفوهة بلهفة وفي أُذن قلبه صوت يصيح: (أصحاب جدي الحسين عليه السلام لم يذوقوا مسّ الحديد).

قمة المعراج

انطلقت الرصاصة فاستقبلها الشهيد بصدر رحب، وتبعتها ثلاث أخريات لترتقي به أكثر في جنته.. تفجر قلبه حبا لله، وانحنى رأسه كسجدة أخيرة من فوق المنصة.

سجدة أخيرة وبلا ذكر سوى دم عبيط سال من فمه كان أقدس وأصدق من أي ذكر (لمعبودي.. إنني آتي). هوى الشهيد صعودا.. وصل إلى قمة المعراج.. بلغ مناه الذي سعى طيلة عمره لوصاله.. لقد ترجل فارس التحرير عن فرسه..

ترجل بعد أن حرر الشعب من شك القدرة.. والإرادة..بعد رسخ حب المقاومة في قلوب الناس طوعا..

إنه الشهيد علي العرب الذي قضى عمره بسيطا.. مجهولا.. ليكتشفه الناس شهيدا.

المفارقة الأخيرة

ترك الشهيد علي وراءه إرثا خالدا كما دمه.. إنها المفارقة الأخيرة في سلسلة المفارقات التي تجمعه بالشهيد القائد رضا الغسرة.. لم تكن مفارقة؛ بل كانت سابقة تاريخية تحصل للمرة الأولى في تاريخ البلد الجهادي، وهي أن يوصي شهيد علي شهيد آخر في وصيته، لقد كان ذلك في وصية الشهيد علي العرب الخالدة.

وصية الشهيد الخالدة

بسم الله الرحمن الرحيم

و الصلاة والسلام على أشرف الخلق والمرسلين نبينا وقائد مسيرتنا المسمى في السماء أحمد وفي الأرض بأبي القاسم محمد.

﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾

صدق الله العلي العظيم

إن لله رجالا إذا أرادوا أراد رهبان بالليل ليوث بالنهار لو حملوا على الجبال لأزالوها.

إلى جميع من عرفتهم في محبسي ألتمس منكم العذر والسماح على أي خطأ بدر مني أو أي تقصير معكم، أرجو العذر والسماح.. قرأت قصصا عن الشهداء أن الشهيد في وقت استشهاده لا يتألم؛ بالأحرى لا تكون الروح في الجسد، ويري كيفية استشهاده، وإن جروح الشهيد تكون له نوراً في الآخرة، كان الشهيد القائد أخي وصديقي رضا الغسرة يقول:

(كونوا على العهد وقووا أنفسكم بالتقرب إلى الله وأهل البيت عليهم السلام وليس هناك نجاح إلا بالتقرب لهم)، وكل ما فعل من بطولات ووو.. كان يتوكل على الله وعلى أهل البيت عليهم السلام. صادفني موقف لا أستطيع ذكره، لكن كنت في حيرة، فتكلمت مع الشهيد، فأخبرني في مشيك توكل على الله، عند وصولك المكان الصعب قل: (السلام على فاطمة الزهراء عليها السلام والعن ظالميها واقبض على يدك وافتحها وانفخ في وجهه)، وفعلت ما قاله، ما أن وصلت إلى النقطة والمكان الذي أريده فعلت ما قاله انفتح لي الطريق، عبرت بدون سؤال ولا كلام، وغيرها من مواقف وبركات أهل البيت عليهم السلام. وفي قصة أخرى؛ كان من بركات أهل البيت عليهم السلام مفتاح العزل مبنى رقم ١، توصل الشهيد إلى طريقة لنسخ المفتاح، لكن حدث خطأ في النسخ ولم يفتح القفل، بعد محاولات عديدة لم ينجح، وصل إلى يوم مولد سيد المرسلين صلى الله عليه وآله، وضع المفتاح في جيبه وقبل دخول المجلس وضع يده على جيبه وقال: بأمانتك يارسول الله صلى الله عليه وآله وببركاتك ساعدني. انتهى مجلس القراءة وخرج وأخذ المفتاح وقال: بسم الله الرحمن الرحيم، وصلى على النبي وآله ثلاث مرات وفتح القفل وانفتح ببركات النبي وآله، وغيرها من المواقف التي حصلت معي وكنت أستعين بأهل البيت عليهم السلام، وأصل للمطلب الذي أريده، أسأل نفسي ماهو التكليف أو ماهو تكليفي أو هل أديت تكليفي؟

و صلت إلى نقطة عرفتها في نفسي والقراءة ومحاضرات سمعتها من علماء وغيره فوق كل هذا كان عملي ومتأكد «أنه» لم يتجاوز قطرة في بحر في سبيل الله، ونحن مقصرون في كل شيء. أودعكم إخوتي وأحبائي، وليس هناك ألم أشد من فراق الأحبة، عسى أن نلتقي مرة أخرى.

خُط الموت على ولد آدم مخط القلادة على جيد الفتاة، وخير لي

مصـرع أنـا لاقيـه، ألا مـن لحـق بـي استشـهد ومـن تحلـف لـم يبلـغ الفتـح.

كلـمات ترددهـا خلـف سـيد الشـهداء الإمام الحسـين عليه السلام، ونحـن اخترنـا مـلاقاة مصارعنـا والالتحـاق بالركـب وبلـوغ الفتـح.

تعلمنـا أنـك إن لـم تشـهر سـلاحك مـن جرحـك الدامـي صـرت رقيقـا فـي سـوق نخاسـة لا تعـرف الرحمـة. أنـا أواجـه حكـم الإعـدام فـي أي وقـت، وأسـأل الله عـز وجـل أن يرزقنـي الشـهادة فـي سـبيله، وما أحلـى الشـهادة فـي سـبيل الله!

أوصـي إخـوة الـدرب والشـعب الأبـي أن يسـيروا علـى نهـج سـيد الشـهداء أبـي عبـد الله الحسـين عليه السلام والشـهداء، وصيـة الـوداع كـما قالهـا الخمينـي قدس سره وأنـا أرددهـا كـما قال:

بفؤاد هادئ وقلب مطمئن وروح

مسرورة وضمير آمل بظل الله أستأذن

الشعب وأسافر نحو المقر الأبدي

أخوكم علي العرب

(شهادة)

الاثنين ٢٩-١-٢٠١٨م

أ إلي من نصيب؟!

يـا لعصـر الشـهادة الـذي تعجّـل المجـيء.. يـا لأرواح الشـهداء التـي تعجّلـت العـروج.. بقلـب مطمئن..أسـلمتم الـروح التـي عانقـت الإيـمان.. كـم كنتـم سـعداء لحظـة الارتقـاء..أم كيـف تذهبـون؟! لتلاقـوا المنـون؟! يـا قافلـة العشـق تريثـي.. فهنـاك متسـكّع حلمـه المضـي.. أوليـس هنـاك ما تحملـي؟! إذًا أخبـري هـذا التعيـس أيهـا ذنبـي؟! ألا يـزال القلـب المعـروض فـي سـوق الـدرر مغشـوش؟! ألـم يـأنِ لصاحبـه أن يصـدق بعـد؟!

أرجوكـم لا تلغـوا صفقتـي.. فقـط أمهلونـي حتـى اصقـل درّتـي، فهـي مـن النـوع الجيـد.. لكـن تراكمـت فوقهـا علائـق حـب الدنيـا.. يـا قافلـة العشـق تريثـي.. احملينـي مـع الجثاميـن التـي لفـت الإسـلام.. والكرمـة.. والرجولـة.. والإنسـان.. كأنـه لاكفـن بـل قـماط يكتنـف بيـن طرفيـه ولادة جديـدة للقيـم..

يا قافلة العشق تريثي..

فقد أدركني قائدك..

أركبيني ثم امضي..

صدر لدار الوفاء للثقافة والإعلام

سلسلة رجالٌ صدقوا:

١. هكذا عرفوه، الشهيد رضا الغسرة

٢. المؤمن الممهد، الشهيد علي المؤمن

٣. فخر الشهداء، الشهيد عبدالكريم فخراوي

٤. الخارجون من الماء، كمال السيّد، رواية أدبية حول حياة المحرر من السجون الخليفية محمد طوق

٥. القادم من هناك، كمال السيّد، رواية أدبية حول حياة الشهيد القائد رضا الغسرة

٦. ألم وأمل، السيد مرتضى السندي، تجربة واقعية في السجون الخليفية

٧. فارس التحرير، أحمد العرب، حول الشهيد علي العرب (هذا الكتاب)

سلسلة نهج الولاية:

١. العمل المؤسساتي في فكر الإمام الخامنئي

٢. الاستغفار والتوبة، الإمام الخامنئي

٣. التحليل السياسي في فكر الإمام الخامنئي

٤. العبد الصالح، الإمام الخامنئي، رواية الإمام الخامنئي حول الإمام الخميني

٥. سيد شهداء محور المقاومة، قاسم سليماني

٦. عهد الأمير إلى المسؤول والمدير، شرح رسالة الإمام علي لمالك الأشتر، الإمام الخامنئي

٧. النفوذ في فكر الإمام الخامنئي

٨. الحياة بأسلوب جهادي، الإمام الخامنئي

سلسلة من داخل السجن:

١. التغيير في سبيل الله، الشيخ زهير عاشور

٢. تأملات في الفكر السياسي، الشيخ زهير عاشور

٣. الإسلام والعلمانية، أستاذ البصيرة عبدالوهاب حسين

٤. الرحيل نحو الأبدية، الساعات الأخيرة للشهيد علي العرب قبل إعدامه، كمال السيّد

٥. يسألونك عن عاشوراء، الأستاذ محمد فخراوي

٦. رسول الرحمة، أستاذ البصيرة عبدالوهاب حسين

٧. على ضفاف الحسين، الأستاذ محمد سرحان

٨. نشيد الشهادة، شرح وصية الشهيد القائد قاسم سليماني، الأستاذ محمد سرحان

٩. ماضون على دربك، قصص أسرى البحرين بعد استقبال خبر شهادة القائد قاسم سليماني

١٠. مرج البحرين يلتقيان، حياة الإمام علي وفاطمة الزهراء، الأستاذ محمد فخراوي

١١. خط الإمام الخميني، الشيخ جاسم المحروس

١٢. الإسلام دين الفطرة، أستاذ البصيرة عبدالوهاب حسين

١٣. شقشقة المظلوم، شرح الخطبة الشقشقية لأمير المؤمنين (ع)، الشيخ زهير عاشور

١٤. إلى أحبتي، نصائح تربوية إلى الشباب، الشيخ زهير عاشور

١٥. وذكرهم بأيام الله، شذرات من فكر الإسلام المحمدي الأصيل، الأستاذ محمد سرحان

١٦. اللامنطق في الفكر والسلوك (مجلدين)، مواجهة النبي موسى لفرعون، أستاذ البصيرة عبدالوهاب حسين

١٧. رحيق كربلاء، الشيخ زهير عاشور

١٨. معرفة النفس طريق لمعرفة الرب، أستاذ البصيرة عبدالوهاب حسين

١٩. شمعة في وسط الظلام، الشيخ زهير عاشور

٢٠. إضاءات فكرية، أستاذ البصيرة عبدالوهاب حسين
٢١. فارس التحرير، أحمد العرب، حول الشهيد علي العرب (هذا الكتاب)

سلسلة تاريخ البحرين:

١. آل خليفة الأصول والتاريخ الأسود
٢. شهادة وطن، إفادات قادة الثورة المعتقلين وعذاباتهم
٣. الإبادة الثقافية في البحرين
٤. تيار الوفاء الإسلامي، المنهج الرؤية الطموح

كتب أستاذ البصيرة عبدالوهاب حسين:

١. إضاءات فكرية
٢. معرفة النفس طريق لمعرفة الرب
٣. اللامنطق في الفكر والسلوك، مواجهة النبي موسى لفرعون
٤. الإسلام دين الفطرة
٥. رسول الرحمة
٦. الإسلام والعلمانية
٧. الجمري في كلمات أمينه وخليله
٨. القدس صرخة حق
٩. إضاءات على درب سيد الشهداء (ع)
١٠. قراءة في بيانات ثورة الإمام الحسين (ع)
١١. الدولة والحكومة
١٢. الإنسان رؤية قرآنية - الجزء الثاني
١٣. الإنسان رؤية قرآنية - الجزء الأول
١٤. في رحاب أهل البيت عليهم السلام

١٥. الشهادة رحلة العشق الإلهي

كتب أخرى:

١. قافلة الخلود - شهداء البحرين
٢. عاشوراء البحرين ٢٠١٩
٣. كتيّب المقاوم العارف، الشهيد المقاوم أحمد الملالي
٤. عاشوراء البحرين ٢٠١٨
٥. حصاد البحرين ٢٠١٧
٦. عاشوراء البحرين ٢٠١٧
٧. في رحاب مدرسة الإمام الخميني
٨. المهدوية في الفكر الولائي
٩. الحصاد السياسي ٢٠١٦

كتب باللغة الفارسية:

١. تغيير در راه خدا (التغيير في سبيل الله)، الشيخ زهير عاشور
٢. بازخوانى خطبه هاى امام حسين (قراءة في بيانات ثورة الإمام الحسين)، أستاذ البصيرة عبدالوهاب حسين
٣. بر آستان اهل بيت (في رحاب أهل البيت)، أستاذ البصيرة عبدالوهاب حسين
٤. رنج و اميد (ألم وأمل)، السيد مرتضى السندي
٥. گواه ميهن (شهادة وطن)، إفادات قادة الثورة المعتقلين وعذاباتهم
٦. تاريخ سياه آل خليفة (آل خليفة الأصول والتاريخ الأسود)
٧. بت شكن (رواية الخارجون من الماء)، كمال السيّد

ترك الشهيد علي وراءه إرثاً خالداً كما دمه.. إنها المفارقة الأخيرة في سلسلة المفارقات التي تجمعه بالشهيد القائد رضا الغسرة.. لم تكن مفارقة؛ بل كانت سابقة تاريخية تحصل للمرة الأولى في تاريخ البلد الجهادي، وهي أن يوصي شهيد علي شهيد آخر في وصيته، لقد كان ذلك في وصية الشهيد علي العرب الخالدة.